
الكويت
في ميزان الحقيقة والتاريخ
تأليف: يعقوب عبد العزيز الرشيد


الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية

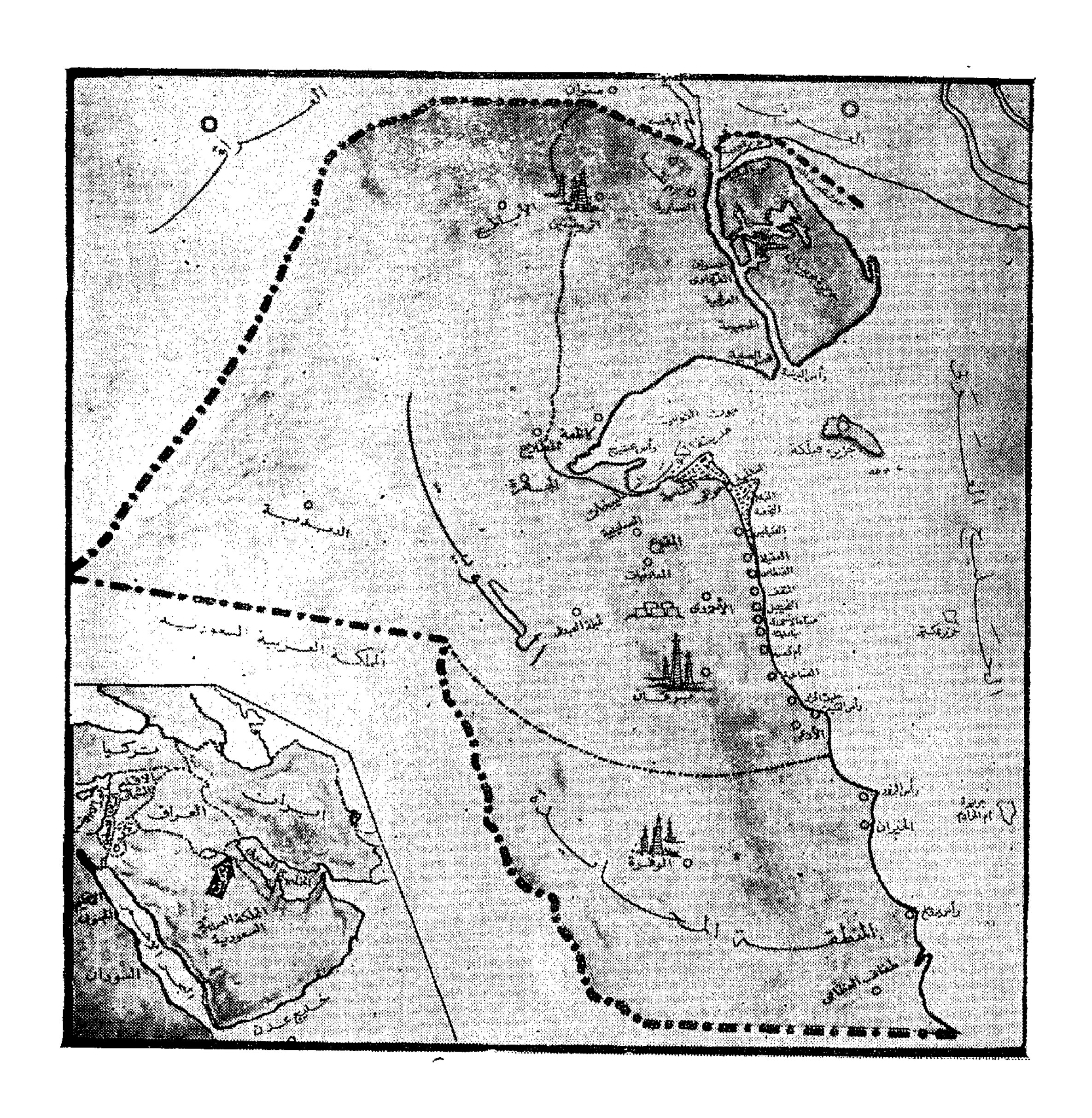
الكويت

في ميزان الحقيقة والتاريخ

تأليف

يعقوب عبد العزيز الرشيد

١٩٦٣



خريطة الكويت

مقدمة

فكرة هذا الكتاب ، ولدت كما يولد الفجر ، تحسه ولا تراه .. وربما تخيلته قبل ان يحل .. او يطل محياه .. وقد يخامرك شعور شاك في وجوده غير ان الانتظار لا يطول بك حتى ترى انواره تملأ الكون وتحس اضواءه تغسل الدنيا .. وتلفها ..

ولدت فكرة هذا الكتاب ، مثل شرارة صغيرة ولكنها ذات وهج وحرارة ، وكان ذلك يوم ان لوح اللواء عبد الكريم قاسم ثم صرح .. انه سيعيد عقارب الساعة الى الوراء .. ويدفع عجلة الزمن الى خلف .. وما لبثت تلك الشرارة ان اسعرت في الصدر لهباً ، واشعلت فيه ناراً ، يوم ان انتقل اللواء قاسم من مرحلة دفع التاريخ الى الوراء ، الى مرحلة اخرى اشد خطورة هي مرحلة تزوير التاريخ وتلبيس الحقائق وتدليس البديهيات.

فاندفعت حينذاك بالاحساس الفطري الذي يحسه كل مواطن يهدد وطنه ، ويساء الى بلده وارض آبائه واجداده .. اندفعت نحو تنفيذ فكرة الكتاب ونشرها على العالم العربي ، بعد ان ملأ قاسم الدنيا بكلام كثير

يعوزه المنطق وتنقصه وثائق الحق ووضوح الحجة ، وبعد ان تكشفت للعالم العربي خبايا نفسه .. ومضامين فكره .. اندفعت حينذاك نحو تأليف هذا الكتاب مستهدفاً ثلاث غايات :

الاولى : كشف الحقائق المؤدية الى كشف باطل مزاعم الزعيم وإدانته من لسانه ولسان أسلافه ووثائق دولته ..

الثانية : كشف الاغراض الحقيقية التي يريدها « الزعيم » من وراء إثارة هذه القضية الخاسرة في تجارتها البائرة ..

أما الثالثة : فهو التدليل على أن للكويت شخصية دولية حقيقية قائمة لا يرقى اليها شك ..

لست في مجال الحديث عن الآثار الكبرى التي خلفتها حماقة الزعيم ومطالبته بضم الكويت بل انتهابها واخضاعها لسلطته الغاشمة .. لأنه ما من شك ولا جدل في أن هذه الفرية الحمقاء لم تبق مواطناً من الكويت إلا أحالته مارداً من الجن أو شعلة أسطورية من الحماس والتضحية يترقب اللحظة الحاسمة وساعة الصفر التي تتيح له افتداء وطنه الحبيب (الكويت) بدمه وماله ونفسه ..

ولن أفعل في هذا الكتاب الا شيئاً واحداً فقط هو أن أسلط بعض الأضواء على قضية بلادي ، عارضاً أطوارها ومراحلها ، مبرزاً تاريخ وطني ومفصلاً غاياته وأهدافه .. لكي أمزق قناعاً زائفاً عن وجه هذا الزعيم ليظهر على الملأ بحقيقته الجائرة الظالمة ونفسيته المخادعة المخاتلة .

نحن والكويت :

الكويت وطني ، ووطن الاحرار الشرفاء ، وكل حفنـــة من رماله وكل شبر من شطآنه مروي بأنهار من الدماء والدموع . وهو بحدوده المعترف بها كيان ضروري لاستمرار حيـــاة كل كويتي .. فهو لا يراه ويحبه ويفتديه فحسب ، بل يعيشه أيضاً . ولئن كان من السهل على خيال الزعيم أن يتوهم الكويت شريحة من (أملاكه) أو قطعة من البلد الذي نكب بسلطانه ، إنه لعسير تحقيق ذلك التوهم أو إحالته حقيقة واقعة.

وينبغي علي أن أعلن هنـــا صراحة أن الكويت اكثر من وطن لنا نحن الكويتيين ، واثمن من ملعب صبا أو مسرح طفولة أو ملجأ حرية وملاذ آمل .. ان الكويت لنا نحن الكويتيين واقع تاريخ وحياة ومصير ، فليس لحياتنا معنى دونها ، وليس لوجودنا أثر اذا خدش استقلالها أو نيل من شخصيتها أو وضعت في أيديها الاغلال والقيود ..

لقد تذوقت بلادي طعم الحرية والاستقلال . بل انها لم تعرف طعماً آخر غيره طوال حياتها . ومنذ ان كان « للاستقلال » مدلول خاص ومعنى متعارف عليه ، كان للكويت أثره وخطره في توضيح معالم هذه الكلمة واعطائها التفسير الحديث .

ومنذ ان فتحت هذه البلاد عينيها على حكم آل الصباح قبل ثلاثة قرون . منذ صباح الاول حتى عهد صاحب السمو أمير البـــلاد المعظم الشيخ عبد الله السالم الصباح ، والكويت لا تعرف أسلوباً في حياتها غير الاستقلال ولا نهجاً غير نهج الشخصية المتميزة ذات الخصائص المتفردة ،

ولم تعرف طريقة في الحكم غير الطريقة المنبثقة عن اسلام سليم وعروبة أصيلة ، ولم تمكن لأحد من الطغاة أو الغزاة أو الطامعين أن يعتلي متن تربتها أو يدنس طهارة رقعتها ، بالرغم من أن هذه المئات الثلاث من السنين السالفة كانت أملأ فترة في وجود الوطن العربي كله بالمتاعب والمصاعب وأزخرها بالاحداث الجسام ، اذ كانت البلاد العربية خلال هذه الفترة من الزمن موضع اختبار وبلاء ومحنة ، ترودها البعثات الأجنبية وتطأ ترابها أقدام الجنود الغرباء .

وكانت هذه الفترة التي وجدت فيها الاوضاع الغريبة على الأرض العربية وامتدت جذورها فتعالت أغصانها واشتدت سواعدها ، بحيث أضحى من الصعب العسير على بعض هذه البلاد أن تتخلص نهائياً من آثار تلك السنوات الثلاثمائة العجاف .

هكذا كان حال البلاد العربية عموماً .. فكيف كان حال الكويت ؟

لقد تناولت في هذا الكتاب كل ما يتصل بالكويت .. وكل ما من شأنه أن يدل على استقلالها وحريتها وتفردها بشخصيتها ، وذكرت بعض ما يصلح ان يكون حقائق تدمغ الباطل « القاسمي » وما يصلح ان يكون دلائل علمية وقانونية تثبت « استقلال الكويت » وتبطل دعوى تبعيتها لأية جهة من الجهات وتخذل من يدعي أنها (لواء) من ألويته أو ولاية من ولاياته .. وحرصت على ان تكون تلك الحقائق والدلائل موشاة بالمنطق محلاّة بالبيان ، مزينة بقوة الحجة والبرهان وحرصت أيضاً على تخيّر الوقائع شديدة الأثر الواقفة في وجه الأباطيل ، الهادمة للافتراءات من التي يسمونها في العرف الدبلوماسي (حقائق قاطعة) لا يرقى اليها شك ولا ينال منها ريب .. ولقد تغاضيت عن بعض الادلة لشيوعها

ومعرفة القاصي والداني بهـا ولأن الاستشهاد به ، ان كان يمنح فكرة الكتاب قوة ، فانه لا يرتقي به كثيراً الى مشارف الجد والكمال المقصود.

لذلك كله ، سيراني القارىء قد ذكرت اللاجئين الحيارى والملاحقين المظلومين الفارّين بأرواحهم ومعتقداتهم السياسية من جور بني عثمان .. ذكرت هؤلاء وفصّلت في أمرهم .. كيف هوت افئدتهم وتعلقت ارواحهم .. وكيف وجدوا مُطمأنهم وسلامهم في ارض الكويت الحرة.

وللقارىء من بعد ان يقدّر خطورة الأمانة التي تحملتها الكويت .. وعظم العمل الذي أقدمت عليه ، ونبل الرسالة التي لم نتهرب من حمل مشعلها ولم نتأخر عن النهوض بالالتزامات الثقيلة التي يستوجبهـا حمل هذا المشعل في دنيا العرب ، يوم ان كانت هذه الدنيـا مسرحاً لجنود العثمانيين وميداناً لخيولهم وموطئـاً لعجلات مدافعهم ، ويوم ان كانت الوهاد والسهول والجبال والنجود والفيافي والصحارى والقرى والمدن ، في تلك الدنيا العربيـة ، تعيش بل ترزح تحت ظل العلم العثماني .. وتنوء تحت حكم بني عثمان .. ويوم ان كانت كل حركة تحررية عربية تقابل بالحديد والنـار ، وتكبت بالسجن والسوط الرهيب .. ويوم ان كانت قوافل الاحرار تُساق حزينة كثيبة كسيرة الى ساحات المحـاكم العرفية لتستمع بصبر عجيب وصمت قاتل لاحكام الاعـدام بالجملة .. ويوم ان كانت الدعوة للاستقلال والافكار التحررية ، خيانة عظمى .. وطريقاً شائكاً نهايته أعواد المشنقة !.

للقارىء ان يقدر عظمـة الكويت والشجاعة العربية الأصيلة التي تسلحت بها في تلك السنوات المظلمة الظالمة ، ففتحت ابوابها عن رضى وطيب خاطر ، واستجابة للحق ونداءات المروءة ، فضمت الى صدرها

واستقبلت فوق أرضها ، الأحرار الذين لم يطيقوا الظلم . آلت الكويت على نفسها ان تقف في وجه (البعبع) الجبار و « الغول » الاسطوري الذي كان يسمى (دولة بني عثمان) !.

وكل مطلع على تاريخ تلك الفترة ، أو ملم بأحوالها ، يعرف ان الكويت فعلت كل ذلك ولم تطأطيء هامة ، ولم تحن جبيناً بل ظلت صامدة صمود الرواسي .. وصانت نفسها بالرغم من كل شيء ، ولم تمكن الدولة العثمانية من ان تمد ظلها فوق ارض الكويت ، وحافظت - وحدها من بين البلدان العربية - على صفاء استقلالها ونقاء شخصيتها وتخلصها من شوائب الاحتلال والنفوذ والتحكم ..

ولعلّي لا أعدو الحقيقة إن انا قررت ان ما بدا من الكويت في تلك الفترة من صلابة أصيلة في رد كل حكم اجنبي ، انما هو احدى المميزات الرئيسية للكويت شعباً ومجتمعاً ودولة .. وان ما كان من اصرارها وصمودها ضد محاولات الغزو والسيطرة وفرض النفوذ انما هو احدى المقومات الرئيسية لشخصية الشعب الكويتي الماجد ..

ان هذا الشعب الصغير - نسبة وعدداً - وصاحب الوقفة الكبرى في وجه الصعاب والسيطرة والاستغلال .. ان هذا الشعب ليس الا (بركاناً) سرعان ما تثيره محاولة السيطرة وتفجر حممه نوايا التملك والنفوذ بالقوة .. وهل تراني بحاجة الى القول ان ما يفعله الزعيم عبد الكريم قاسم اليوم ليس الا تحرشاً بالبركان واستفزازاً لحممه ونيرانه ..

ثم ان الكتاب يخاطب عقل القارىء العربي في كل مكان عربي وفي بغداد نفسها ، وينهج نهج المنطق السليم في العرض والاستدلال ويسلك سبيل الواقعية في استقصاء غايته والوصول الى هدفه .. ولسوف يراني

القارىء ، أتحدث اليه تارة حديث وثائق .. وأكلمه اخرى بلغة الأرقام ، معتمداً الاحصائيات العلمية ومستقصياً حقائق العلم ووقائع التاريخ ..

فلأجل الدفاع عن الكويت ووضعه الدولي ، استشهدت بنصوص جليّة واضحة جاء بها رجالٌ عراقيون ، ليسوا هملاً بين الناس ولكنهم مفكرون معروفون وجغرافيون علماء .. ومؤرخون يعتدّ بقولهم ويعتمد على رأيهم .

ونحن لم نتقصّ المحاضر الكويتية الرسمية لكي نثبت حدود الكويت ووجودها القائم بذاته وشخصيتها الدولية المستقلة ، بل تركنا القول الفصل في هذا لمركز جمرك صفوان العراقي .. أي تركنا دولة قاسم ترد على مزاعم قاسم واستمعنا الى دوائر العراق الرسمية تكذب اكبر مرجع رسمي في العراق !.

لم نكتف بايراد شهادات رجالات العراق الشقيق ومفكريه ومؤرخيه ولم نستعن بالفكر العالمي ، والتاريخ القريب والبعيد وحسب بل عمدنا الى نهج واقعي جديد في الأدب السياسي هو ان نجند ، في الدفاع عن الكويت وقضيته ، دوائر العراق الرسمية ووثائق دولة العراق الرسمية نفسها .

ففي عرف اللواء قاسم مثلاً ، بل في وهمه ، ان الكويت جزء سليب من العراق ..

وفي حقيقة أنظمة دولته : ـ تفرض الضرائب المفروضة على رعايا الدول الأخرى كفرضها على الكويتيين تماماً .

وفي خيال اللواء قاسم يشكل شعب الكويت جزءاً من املاك حكومته . وفي واقع حياة هذا الشعب انه غريب عن دوائر العراق الرسمية التي طالبت في يوم من الايام ان يكون للكويت في العراق ممثلية او قنصلية .

ان القارىء المنصف سوف يرى في الوثائق الواردة في هذا الكتاب حول هذا الخصوص ، دلواً من الماء البارد ينصب فوق رأس انسان ذي لوثة واختلاط وهو في اوج اوهامه ووسوسته عسى برودة الماء ان تعيد له بصدمتها المفاجئة شيئاً من الصواب وطرفاً من العقل ..

ان الوثائق التي تدين قاسم وحكومته وثائق كثيرة وهامة ، وهي ان دلت على شيء فانما تدل على ان في الواقع الراهن الملموس للسياسة العراقية حقائق دامغة تجعل من خطب الزعيم السياسية ، التي يقذف بها بين حين وآخر للاستهلاك المحلي ، كلاماً اجوف لا معنى له ولا هدف وراءه .. وتجعل من الاستمرار في هذه الدعوة المهووسة الى ضم الكويت للعراق ، ضرباً من العبث السياسي ومتاجرة بالانفعالات العاطفية الشعبية .

ولئن لم يكن للكتاب من فائدة إلاّ كشف الضلالات وابطال المزاعم وتوعية الشعوب العربية والشعب العراقي الشقيق بالذات على حقائق القضية التي ارادوها له ملهاةً بل مأساة ، وافهام جماهيره الواعية المتوثبة ذات الماضي العريق في صنع الامجاد واجتراح المعجزات ، افهامها فشل لعبة قاسم الخطرة وبطلان ادعاءاته المكشوفة ، وزيف مبرراته الواهية التي يعتمد عليها في مواقفه السياسية كافة ..

لئن لم يكن للكتاب من فائدة غير هذه ، وغير مخاطبة الضمير الانساني الحر ، لتحكم بنزاهة وتجرد للكويت او عليها وليقدر موقفها الصلب من مطالبة قاسم بضمها اليه وفرض سلطانه على ارضها وابنائها ..

لئن لم يكن للكتاب من فائدة غير هذه .. وتلك .. لكان ذلك حسبي ولكفاني ذلك مكافأة على الجهد والتعب ..

ان المطالبة بضم الكويت الى العراق ليست مطلباً من مطالب الشعب العربي في العراق ، بل هي (حلم قاسمي) وستار يغطي به قاسم فشله في القضايا العربية الكبرى وفي القضايا العراقية الداخلية نفسها .. فهو في عزلتين .. عزلة عن شعبه .. وعزلة عن شعوب الامة العربية كافــة .. ولقد اخطأ حين قدر ان إثارته لقضية الكويت ، ستهدم له اسوار العزلة وتفتح له ابواب الانطلاق والنجاة من مشاكله وهمومه ..

وانـــه لمن معاد القول ان نشير الى ان المواطن العربي في العراق لا يشكو من وجود (كويت) في جوار عراقه ، ولكن ، والحق يقال ، يشكو من قلة ذات اليد لدى الكثرة الكاثرة من ابناء شعبه ، ويعاني من فتك الامراض بقطاع واسع من بنيه ، ويتململ تحت وطأة الجهل الذي يلف بظلامه الدامس المريع نسبة كبيرة من ابناء العراق .. ان المواطن العربي في العراق يشعر بالحرقة في اعماقه وبالغصة في حلقه وبالاسى والألم في قلبه كلما رأى الشعب الفلسطيني مشرداً بائساً والحكومة القاسمية مشغولة بوضع الخطط لابتلاع الكويت لا لإنصاف فلسطين وتأديب اسرائيل ..

ونحن هنا في هذا الكتاب ، نحدد بحزم وايمان ووضوح ان لا مشكلة في رأينا للكويت .. وانمـــا المشكلة مشكلة قاسم .. اما نحن الكويتيين فلسنا بحاجة الى شرح نفسية شعبنـــا ومنهاج حكومتنا ، فالعالم كله ، والعربي بالذات ، يعلم اننا شعب يقدر معنى الحرية والكرامة الانسانيـــة ويسعى بنبل واخلاص لا للتحرر فقط بل لتحرير الشعوب العربية كلها من كل سيطرة غاشمة . ولقد برهنا في مواقف كثيرة وأعلنا هذا المنهاج السياسي تجاه القضايا العربية كافة .. ولسوف تظل هذه وسيلتنا ومنهاجنا كلما ادلهمت الخطوب وانتشر ضباب الشك واليأس ..

اننا هنا ، نميّز بين جشع فرد طاغية وبين مطامح شعب نبيل وإني لأرجو جميع القراء ان يضعوا دائماً هذا التمييز امامهم عند طرح مشكلة قاسم على بساط البحث .. فان هـذا الفرد هو عدو لشعبه . عبث بمقدرات الملايين من ابنائه ، واتخذ له منهجاً في السياسة يعزل به العراق ، شاء أم أبى ، عن المجموعة العربية التي ينبغي ان يكون منها في صف القيادة . كما قضى على اقتصاد البلاد فأودى بها الى الحضيض حين كان الشعب ينتظر من ثورة تموز ان تحمله بامكاناته وطاقاته وثرواته الكبرى الى قمة الغنى والازدهار ..

ولا بد أخيراً لهذا الشعب ، ان يعرف طريقه .. وان يتبين من يقف دونه ودون ارادته التي لا تقهر في حياة حرة كريمة :

اذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر !.

المؤلف

مَع التَّاريخ

الكويت .. في اللغة والتاريخ

الكويت تصغير لـ (كوت) وهي الحصن او القلعة تُبنى على مرتفع من الأرض وتشرف على بحر او نهر او مجمع مياه .. ولقد كان هـذا أصل الكويت كما يحدثنا التاريخ ، فقبل ثلاثمائة عـام أمَّ هذه البقعة الجميلة التي يغسل الخليج اقدامها ، زعيم بني خالد الشيخ محمد بن عريعر وكانت خلاءً قفراً .. غير ان الشيخ محمداً هـذا كان مولعاً بالصيد والقنص ، وكان يبحث عن مواطن صيد ومرابع قنص .. وكانت تلك البقعة الرملية المشرفة على البحر عامرة بمـا يصاد ويقنص من الحيوان والطير ، فأعجبته وبنى فيهـا أول بيت (في موقع المستشفى الاميركي الآن) على رابية تشرف على البحر . وكان ذلك البيت صغيراً فسمّاه (كويتاً) لا (كوتاً) ، وجعل منه مخزناً يتزود منه كلما أراد غزواً ، او أزمع صيداً او قنصاً .. وظلت الكويت صحراء لا ينتجعها الا البدو الرحّل حين يتنقلون بين اطراف الصحراء انتجاعـاً للماء والكلأ لهم ولحيواناتهم .. حتى سكنها آل الصباح وعمّروها .. وهكذا قدّر لهذه البقعة الرابضة على البحر ، ان تدخل التاريخ من اكثر ابوابـه تواضعاً لتعود بعد ثلاثة قرون وقد خلقت خلقاً جديـداً فأصبحت بلداً مستقلاً

له شخصيته وله كيانه ، بلداً يركّز الانسان العربي الجديد في رماله أعمدة راسخة لحضارة عربيـــة جديدة .. هي أعمدة الحكمـــة والعقل ، والازدهار والتمدن ..

آل الصباح في الكويت

كان آل الصباح يقيمون في (الهدار) من مقاطعة (الأفلاج) في نجد . ودب خلاف بينهم وبين بني عمهم من بطن جميلة ، فغلب آل الصباح عليهم وأجلوهم .. فذهب بنو جميلة الى قبيـــلة (الدواسر) مستغيثين مستنجدين ، فاجتمع شيوخ الدواسر وبطونها وركزوا الرماح في الأرض .. وطلبوا الى بني جميلة ان يختـــاروا أي رمح يشاءون من هـــذه الرماح لنجدتهم .. فتخيّروا رمح آل حسن بطن من بطون الدواسر . وزحف الجميليون وآل حسن على الهـــدار منزل آل الصباح واستطاعوا ان يغلبوهم فجلا آل الصباح عن موطنهم وراحوا يضربون في البوادي حتى استقروا في قطر ردحاً من الزمن في ظل حكامها آنذاك وهم آل مسلم . غير ان رجلاً من آل الصباح قتل رجـــلاً من اتباع آل مسلم لخلاف بسيط بينهما ، فاضطر آل الصباح الى الهجرة من قطر تنفيذاً لطلب آل مسلم ويمموا وجوههم شطر قيس من بلاد فارس ، ثم المخراق ، ثم الصبية ، حتى ألقوا عصا ترحالهم عنـــد حصن ابن عرير الذي رحب بهم أجمل ترحيب وأكرم وفادتهم فأهداهم الحصن بعد ان استوطنوا هناك . ولقد أحسّ آل الصباح لأول مرة بالراحة والطمأنينة فآثروا البقاء في هذه البقعة التي وافقت هوى في نفوسهم اذ ضمنت لهم الحرية والاستقرار والطمأنينة .. وكان هذا اول عهد التاريخ بآل الصباح

في دولتهم الجديدة في الكويت ..

شادوا ، أول الأمر ، بيوتاً لهم من الحجـــارة والطين ، وقرّوا في هذا المربع دون ان يكون لهم نظام .. او مشيخة او رئاسة .. ولكن أصحابهم وأتباعهم توافدوا على الحصن وبدأ مجتمعهم البسيط هذا يتعقد ويمتدّ ، فرأوا من الحكمة ان يختاروا من بينهم رجلاً يحكمهم ويصرف شؤونهم .. وكان لا بد لهذا الرجل من ان تتوافر فيه صفات الرئاسة المتعارف عليها بين القبائل .. فلم يجدوا أرجح عقلاً ولا اكثر حكمـــة ولا أقوى شكيمة من صباح الاول جد هذه الاسرة العريقة التي لا تزال تحكم الكويت حتى الآن ..

ومنذ ذلك الحين لم يتغير حاكمو الكويت ولا طبيعة حكمهم المنبثقة عن الفطرة العربية السليمـــة . ولم يستطع الأجنبي ان يتدخل ليكون له رأي أو فصلٌ في تولية حاكم او عزل آخر كالذي يجري في اكثر من بلد آخر ممن ابتلي بالأجنبي ونفوذه ، وبقي الحكم في الكويت تتوارثـــة عائلة واحدة رضي عنها شعب الكويت وقبل بحكمهـــا ، فهو نوع من الحكم وتصريف الامور ليس مبنيـــاً على القوة والاكراه ، او الترغيب والاغراء .. وهو أصلح نوع من الحكم لشعب مثل شعب الكويت ما تزال فيه سائدة اخلاقية القبيلة العربية وفطرة الصحراء السليمة غير الملتوية .

* * *

حكم الكويت صباح الأول حتى توفي سنة ١١٩٠ من الهجرة فتولى حكمها ابنه الشيخ عبد الله الاول بن صباح الاول ، ثم تلاه في سنـــة ١٢٧٦ من الهجرة ابنه جابر الذي عرف بجابر العيش لكرمه وإغاثته .

وقد حفظ التاريخ أحداثاً معروفة تشير الى ما كان يتمتع به هذا الحاكم من حنكة ودراية وشجاعة ومروءة .

وبعد وفاته خلفه ابنه صباح الثاني الذي استمر حكمه حتى سنة ١٢٨٣ حين تولى الحكم بعده ابنه عبد الله الذي خلفه اخوه الشيخ محمد بن صباح الثاني سنة ١٣٠٩ ه واستمر حكمه حتى سنة ١٣١٣ ه .

وفي هذه السنة استولى على الحكم الشيخ مبارك الصباح بعد ان قتل اخويه جراحاً ومحمداً . وعمل الشيخ مبـــارك على توسيع رقعة الكويت وجهد في تثبيت مكانتها في الاوساط العالمية ، ولقد حدثت خلال حكمه حوادث كثيرة ، تُستشفُ منها قوة الكويت ومناعتها على اعدائها بفضل تمسك اهلها بحريتهم وتشبثهم باستقلالهم وبفضل وحدتهم وتضامنهم امام اي خطر خارجي يهددهم .

وفي سنة ١٣٣٤ ه توفي الشيخ مبارك الصباح وتولى الحكم بعده ابنه الشيخ جابر الثاني الذي تعلق به الكويتيون وأحبوه لأنه وسّع تجـــارتهم وكان يحيطهم بعنايته البالغة ويرعى امورهم بحرص واهتمام . وتوفي الشيخ جابر بن مبارك في سنة ١٣٣٥ ه فتولى الحكم بعده الشيخ سالم بن مبارك وكان شجاعاً محنكاً حكيماً ساعياً لخير بلاده وصلاح مواطنيه .

وبعد وفاته تولى الحكم بعـــده ابنه الشيخ احمد بن جابر آل الصباح الذي استمر حكمه حتى سنة ١٩٥٠ م وكانت قـــد بدأت في اواخر حكمه تباشير اكتشاف النفط وتفجيره في ارض الكويت ، فاغتنم الشيخ احمد ذلك لارساء قواعـــد النهضة الكويتية الحديثة في هـــذه البقعة الغنية المباركة .

ولقد جاء حكم صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصبـــاح متمماً

لتلك النهضة مرسخاً ومثبتاً قواعدها السليمة واسسها المتينة . وان الذي يجيل ببصره اليوم في اطراف الكويت وفي اية ناحية منها ليجد كل شيء شاهداً ودليلاً على الطفرة العظيمة التي نقلت البــلاد الى طور الحياة المتحضرة والرفاهية التي ينعم بها ابناؤها والتي اصبحت مثاراً لحسد الغرباء وشرراً يشعل نار الطامعين ويكشف جشعهم .

* * *

لقد أثبت التاريخ منذ ان وجدت الكويت حتى اليوم ان حكام الكويت لم يكن لهم من هم الا تحقيق العدالة ونشرها بين ابناء الشعب .. وان التاريخ يشهد بأنهم حكموا البلاد حكماً ديمقراطياً سلمياً تدل عليه مآثرهم واحداثهم الحافلة .

واما الحقائق التي اسوقها في كتابي هذا ، فاني ما قصدت من ورائها الا تأكيد الحق واثباته ودحض افتراءات المفترين وتفنيد دعاوى المدّعين من امثال الطاغية المجنون عبــد الكريم قاسم ومن يحيط به من المرتزقة والمنافقين يقدحون شرار هلوسته ونزواته .. فيُنعم عليهم بالكلام السمج السخيف .. يخاله ، من فرط جنونه واستحكام عقده ، خطباً من اروع الخطب ان لم تكن اروعها .. وهو في غيه سادر لا يعلم الى أية هاوية ينحدر .. ولا الى اي مصير يسير .. وسيعــلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون !.

أزمة مفتعلة

نحن ، ابناء الكويت ، جزء من هذه الأمة العربية التي تمتد مـا بين محيطين ، وتتسع رقعتها فتشمل قارتين ، وحين نكون جزءاً من هذه الامة فان هذا الجزء لا بد من ان ينفعل ويتأثر بما يصيب بقية الاجزاء ، وان اصاب جزءاً من هذه الامة حيف او أذى تداعت له سائر الاجزاء بالسهر والحمى ، كما يقول الرسول الكريم ، ولقد كان هذا حالنا وما يزال ، حين نستعرض الواقع التعيس الممزق الذي تعيشه البلاد العربية ، فينتابنا الاسف المرير والألم الممض للحالة التي وصلت اليها هذه البلاد مما لا يرتضيه الا الاعداء والمغرضون والانتهازيون والوصوليون والذين في قلوبهم مرض .. صراع من اجل سلطة عابرة بين فرد وآخر .. ونزاع على سفاسف من الامور سطحية رجعية لا تقبلها روح العصر ولا يستسيغها منطق العقل. تناحر بين دولة ودولة .. او بين حزب وحزب .. او فئة وفئة .. وبين قبيلة وقبيلة بل حتى بين عائلة وعائلة .. حتى لكأن قد قدر ابداً لهـذه الامة ان يجد لها الانتهازيون من السفاسف والمضحكات ما يشغلون به بال شعوبها البريئة ، جاهدين في ابعاد الامة عن اهدافها الانسانية النبيلة وعما يجدر ان تشغل بالها وتفكيرها به ويملأ فراغ حياتها لتحقيق اوضاع افضل.. وحياة اكرم ..

وهكذا قـــدر لهذه الامة ان تقضي شطراً كبيراً من الزمن ضائعة مسحوقة في دوامة الحزازات والمماحكات والازمات الزائفة المفتعلة كالتي حبك خيوطها هذا الحاكم ممقوتاً في بغداد .. الملطخة يداه بدماء الابرياء.. تلاحقه لعنات الشعب العربي في العراق .. وتنغص لياليه ارواح الشهداء التي ازهقها بايدي زبانيته ومرتزقته من جواسيس وشيوعيين وعملاء !

ولم نكن نحن ابناء الكويت لنقف مكتوفي الايدي امام هذا الصراع وتلك الازمات يبتلى بهـــا العرب في كل قطر من اقطارهم ، ولم نكن لنستطيع ان نكون كالنعامة نطمر رؤوسنا في الرمال وندعي اننا لا نرى شيئاً وان ليس من حولنا شيء .. وان الدنيا بخير .. ما دمنا نحن بخير .. كلا .. فان طبيعتنا العربية لن تسمح لنا بان نتخذ موقفاً كهذا .. لان طبيعتنا العربيـــة ليست متحجرة الحس جامدة الادراك .. بل ان نخوتنا لتثور للاسهام في العمل على تحسين هذه الاوضاع بكل ما نملك من جهد وطاقة ..

لقد تضامنا دائماً مع اخواننا العرب في قضايانا العربية الكبرى، وكانت لنا المظاهرات الشعبية الصاخبة ندافع بها عن حقوق اخواننا ونضغط بها على المصالح الانكليزية في بلادنا حين نرى بريطانيا تتجاهل حقوق احدى الدول العربية او تسيء اليها او تعتدي على شعبها . ولم نأل جهـــداً في ارسال برقيات التأييد الاحتجاج الى المراجع العليا العالمية كمجلس الامن وهيئة الامم المتحدة مناصرة منا وملاحقة لحقوق كل شعب عربي مهما بعدت رقعة بلاده عنا ومهما اختلف نظام حكمه عن اسلوب الحكم في بلادنا ..

ولقد فتحنا صدورنا وبيوتنا لجميع المعوزين والباحثين عن العمل مـــن اخواننا العرب دون استثناء او تمييز بين بلد وآخر او بين فئة واخرى..

وما كانت كثرة اعدادهم وما قد ينجم عن ذلك من المشكلات ، لتجعلنا نشكو او نتذمر او نظهر اي علامة من علامات الاستياء ، بل اننا استقبلنا الجميع وكأنهم اهلنا واقاربنا واصحاب بيوتنا ، فشجع الكثيرون منهم على انشاء مصالح خاصة بهم .. بكل ثقــة واطمئنان .. وصارت مصالحهم ومشاريعهم وشركاتهم تزاحم مصالح الاهلين الاصلية .. ولكننا ، بالرغم من كل ذلك ، لم نكن لنسمح لانفسنا ولا لأي وافد من ابناء عمومتنا ، ان يشعر بانه غريب عن الكويت . لقد كنا وما نزال نتمثل بقول الشاعر العربي القويم :

يا ضيفنا لو جئتنا لوجدتنا نحن الضيوف وانت رب المنزل

كانت دماؤنا العربية الصحيحة تثور في كل مناسبة خاصة او اجتماعية فنهب لنجدة البائس او نصرة المضطهد واغاثة المنكوب او للمشاركة في عمل اجتماعي عام .. وما اكثر مـــا يكون ذلك دون دعوة او طلب ، وبعيداً عن اية غاية او مصلحة سوى الاستجابة الى نداء العروبة فينا .. بشعور عفوي اصيل نستمده من تاريخنا المليء بمآثر الأخلاق ، وتُحكم اواصره وتقويها رابطة قومية دينية وثيقة تشدنا الى شعوب البلاد العربية جمعاء ..

* * *

كنا نهمل انفسنا وننساها في سبيل الآخرين ، وكنا ننظر الى ثرواتنا التي منّ علينا الله بها وكأنها هبات عامة لنا ولاخواننا من العرب الذين شاركونا في معاناة صراع التاريخ منذ ان عرف العرب التاريخ .. ولقد بذلوا كما بذلنا وضحوا كما ضحينا في سبيل صد الحكم الاجنبي وفي سبيل

التحرر من كل سلطة غريبة مهما كانت .. او في سبيل الوصول الى حياة حرة كريمة تليق بالانسان .. وينبغي ان يسعى اليها دائماً كل فرد من هذه العائلة الانسانية الكبيرة ..

ولم يكن ليخطر على بالنا ان فوضى السياسة وما يرافقها ويؤدي اليها وينتج عنها من ضياع للقيم وفساد في الاوضاع ، سوف يصيبنا يوماً ما رذاذها .. او تحاول ان تفد الى ربوعنا تنقل سمها واخطارها ..

لم نكن على استعداد .. لطرح مثل هذه القضية على انفسنا ، ولا فكرنا يوماً ان شيئاً من هذا يمكن ان يحدث ..

اجل لم نكن ننتظر شيئاً من هذا .. ولكن هذا الشيء الذي لم نكن ننتظره وقع .. وبالسهولة التي شهدها العالم حين وقف في بغداد رجل ممسوس يحكم بالحديد والنار شعب العراق .. وقف يعلن ان الكويت جزء من (مملكته) وقائمقامية تابعة لولاية البصرة .. في عهد بني عثمان !!

كنا ، ونحن شعب ناشىء يحث خطاه الى وعي الحضارة الحديثة ،نبذل كل سعينا وجهدنا لنستفيد من جميع تجارب الآخرين ونحافظ على وحدة صفنا ، لننتقل من ثم ، وبالتدريج ، الى تحقيق مفهوم الدولة العلمي الصحيح باحثين عن الروح الديمقراطية التي وصل اليها العقل الانساني المعاصر محاولين ايجاد نوع من التوفيق والانسجام بين ما نقتبسه من انظمة الغرب الجديدة ، وبين الخلق العربي الأصيل والتقاليد العربية الصميمة التي لا نزال نفخر بها ونعتز ونباهي أرقى الشعوب بما تنتج من قيم وسلوك ، وبما تحفظه لنا من دعة واستقرار وتضامن اجتماعي واطمئنان نفساني لشدّ الأواصر ما بين الأفراد .

كنا مندفعين بكل ما أوتينا من قوى انسانية وامكانات مادية لكي

نبعد بلادنا العربية جميعاً عن التخبط الاقتصادي والفوضى السياسية .. وكان ان قبلنا المضطهدين السياسيين بين ظهرانينا ، وفتحنا أبوابنا للمعوزين الباحثين عن العمل ، وضمنّا لهم العمل الشريف المثمر ، فتدفق عشرات الألوف من هؤلاء وأولئك الى بلدنا الصغير بعد ان أمنّا لهم مرافق الحياة اللازمة كما أمناها لأنفسنا ، مثل المدارس والمستشفيات وما الى ذلك من مؤسسات اجتماعية اخرى . ولم نفرق بين ابن البلد وبين غيره من اخواننا العرب الوافدين ..

هكذا كنا .. وهذا ما فعلناه .. حتى وقعت الواقعة .

وكانت صدمة .. لانها جاءتنا من اقرب الناس الينا ومن اكثر الذين عنينا بامرهم .. جاءتنا من الزعيم عبد الكريم قاسم .. حاكم العراق .. وبيننا من الاخوان العراقيين عشرات الالوف .. والوف اخرى في العراق تعتمد مواردهم الاقتصادية علينا .. وعلى اقتصاد الكويت نفسه .. سواء اولئك الذين يعملون هنا .. أولئك الذين يصرفون بضاعتهم وتجارتهم في اسواقنا ..

وشعرنا .. اننا في صميم المعركة القومية . وفي صميم معترك احداث الفوضى والتخبط والهلوسة في العالم العربي .. قاسم يطالب بضم الكويت الى العراق ، ويدعي انها جزء منه ، وقائمقامية تتبع ولاية البصرة في عهد الظلمات والاستبداد .. عهد بني عثمان !!

ان عبدالكريم قاسم ، في هذا العصر ، حيث استطاعت الشعوب ان تشهد العالم على احترام حقوقها وسيادتها ، وعلى ان منطق الضم والاغتصاب قد مضى عهده وولى زمانه . ان عبد الكريم قاسم يريد ان يتبع الاسلوب البائر ، أسلوب هتلر وغير هتلر من مجانين التاريخ .

ان قاسم يطالب بضم الكويت الى العراق مدعياً انها جزء منه ، وقائمقامية تتبع ولاية البصرة .. انه يطالب بالكويت كما يطالب اي اقطاعي بقطعة ارض يمتلكها جاره.. وهو يريد هذه القطعة عنوة واغتصاباً وانف الحقوق والشرائع راغم ، وهو يفعل كل ذلك ، ويصرح ، ويخطب ، ويرعــد ويزبد ، ويهدد ويوعد ، دون ان يحسب أي حساب للشعب الذي يسكن الكويت ، للذين ولدوا ونشأوا وترعرعوا فوق رمالها ، وبنوا هناك أمانيهم ومستقبلهم ومستقبل أبنائهم وأحفادهم .

نعم ، لا وزن لكل هؤلاء ، في مــيزان قاسم ، وهو يحسب انــه يستطيع ان يفعل في الكويت ما فعل في العراق ، ولكنه نسي ان الشعب العربي في العراق أخذ على حين غرة ، وكان ثملاً بنشوة النصر والتخلص من عهد كان يرزح تحت أعبائه ببطولة ، وصبر . واما اليوم ، فلا شعب الكويت ولا شعب العراق ، بغافل عما يفعل قاسم . ولا يمكن ان يعيد تاريخ العراق الدامي نفسه مرة اخرى ، لا في العراق ، ولا في الكويت .

وهكذا ، وبكل بساطة وسهولة ، وفي الوقت الذي يصارع فيه العالم أجمع ، من اجل تحقيق حريــة الانسان ، وتثبيت حقوقــه في بلاده ، وترسيخ حقه في تقرير مصيره والاسهام في بناء مجتمعه ووضع العدالة فيه في نصابها ، وفي الوقت الذي نعيش فيه بأعصابنا وعواطفنا وأمانينا مع كل انسان عربي ، في اي جزء من اجزاء الوطن العربي الكبير ، فندعو له معه لترسيخ الحرية وكرامة الانسان في البــلاد التي تخلصت من حكم الأجنبي ، ونساند تلك التي لم تتحرر بعد ، لكي تنطلق وتنال ما تصبو اليه من حرية ورخاء وتقدم . وفي الوقت الذي نستجيب فيــه لطبيعتنا العربية ونرفع لواء الحرية والكرامة لأجل الآخرين ، نستيقظ في فجر يوم

فاذا بحريتنا ذاتها ، تهدد بالضياع ، واذا بنا نبحث عمن يضمن لنا بقاءنا أحراراً في مجتمعنا وفي مصيرنا ، وفي بيوتنا وبين عوائلنا واطفالنا .

الحرية .. وماذا تُرى ، تعني لقاسم هذه الحرية ؟

أي مفهوم جديد يريد ان يسبغه عليها وهو الذي وصل الى الحكم عن طريق ثورة شعبية قامت لأجل الحرية ؟

وما هو المعنى الجديد المبتكر الذي يريده للانسان ، هذا الذي فشلت فيه آمال شعب كبير كان ينتظر الكثير الكثير من مثل حكم قاسم ؟

ماذا صنع هـذا الرجل للعراق بالذات ، كي يسوغ له ان يسعى الى ضم شعب جديد الى شعب العراق ، أيريد ان يؤمم أساليبه الاجراميـة في الكويت ، بعد ان خبرها في العراق ، وكان حصادها حمامات الدم في الموصل وكركوك ، ومسرحيات التقتيل والسحل والتمثيـل بأبشع صورة عرفها التاريخ ؟

لقد صبر شعب العراق كثيراً على الارهاب والاضطهاد في ظل حكامه السابقين ، وعانى كثيراً من كبت الحريات ومحاربـة الانسان في رزقـه وحريته ، فرأى في حكم قاسم ، قبل ان يبلوه ، منقذاً لآماله وأمانيه ، وجسراً يعبره الى تحقيق حريتـه وتأكيد وجوده ، ولهـذا صفق كثيراً لقاسم بحماس واندفاع ، ورحب بالحكم الجديد بحرارة وصدق ، ولكنه جرّب بعد ذلك حكم قاسم ، واختبره ودفع كثيراً من دمائه ثمناً لهـذا الاختبار ، فأسف ، وتندّم ، لا لأنه قضى على العهد البائد ، ولكن لأنه سلّم مقاليده الى طاغية مجنون ، استطاع في غفلة من الزمن ان يخـدع الشعب ، وان يوهم المخلصين من ابنائه ، انه يسعى الى خير هذا الشعب وصلاح ابنائه ومواطنيه .

ان شعب العراق يريد ان يعيد التجربة من جديد ، بعد ان كبلت حرياته اكثر مما كانت مكبوتة في العهود الماضية ، وانقسم على نفسه كما لم ينقسم شعب في التاريخ .

وماذا ترى تكون حرية القرن العشرين ، عصر الذرة والفضاء ، ونحن نرفع اصواتنا في كل بقعة عربية مطالبين بجلاء الأجنبي عن ارضنا وعن كل ارض تحت الشمس لا يرضى اهلهـــا ان يحكمهم الأغراب ويقرر مصائرهم الوافدون اليهم من وراء البحار ، مهما بلغوا من القسوة والأيد والسلطان ؟

وحين تنادي الشعوب مطالبة بحقوقها في تقرير مصائرها ، ماذا ترى يقول اولئك الذين يسيطرون بالقوة على تلك المصـــائر وهم يسمعون تصريحاته المهووسة ، وخطبه المجنونة عن الكويت ؟

إن قاسم يقدم لأعداء الأمة العربية أدلة ملموسة وحججاً يتشبثون بها في الأوساط العالمية والمجالس الدولية لكي يصروا على بقائهم في الأجزاء العربية الباقية تحت استعمارهم ، وسيكون هوس قاسم ونزواته المريضة دليلاً يستندون إليه ويؤكدرن به عجز البلاد العربية عن ان تحكم نفسها بنفسها ، وفشلها في حماية الضعيف منها وإنقاذه من مخالب القوي .

نعم ، ان قاسم يقدم لهم هذه المبررات يسندون بها ادعاءاتهم ، وسيقولون هذه المرة بجرأة وصراحة وخدمة للمستعمرين أجمع والصهاينة وكل المجرمين ، أننا لم نصل بعد الى درجة من الوعي نستطيع بها ان نحكم أنفسنا ، ونقود مجتمعاتنـــا ، ونملك مصائرنا . وسيبقون مستغلين مستعمرين ومجرمين يحتلون بلادنا ويستنزفون دماء شعوبنا وعرقها باسم العطف علينا وتحت ستار الحماية والوصاية .. كل ذلك بسبب أناس تافهين مهووسين

حملتهم الصدف العمياء الى السلطة وقيادة الشعب والتحكم بمصيره فأساؤوا فهم معاني السلطة وضلوا عن سواء السبيل ..

هل تعني الحرية .. حرية القوي ان يفعل ما يشاء ويأخذ ما يشاء من الضعيف ؟

ان هذا المعنى ، هو من مخلفات عهود الغاب ، ولن يجرؤ أحد في عالم اليوم ان يتبناه او يجيزه مهما بلغ من القوة والجبروت أو الوحشية والهمجية ، ولولا ذلك ، لما رأينا قط دولاً صغيرة تعيش الى جانب دول كبيرة ، عيشة طمأنينة وسلام .

هل تعني الحرية التي يتشدق بها قاسم وأبواقه ، حرية الفيالق العراقية في ان تدخل الكويت لتغتصبها بالقوة والاكراه من جيشها الفتي الصغير ؟

اني أتحدى عبد الكريم قاسم ، وأياً كان ، في العراق أو في غيره ، ان يجرؤ فيبيح للجيوش العربية ان تقتتل فيما بينها في معارك دامية ، ونحن نعلم ان العربي لن يشهر سلاحه في وجه عربي آخر .

بل إني لأتحدى عبد الكريم قاسم نفسه ان يجري في العراق استفتاءً شعبياً حول حكم قاسم نفسه ، بعد ان بدأ يهذي بتصاريحه المهووسة المريضة جول الكويت واهل الكويت .

اننا نتحداه ان يجد له عميلاً واحداً في الكويت يرضى بموقفه المجرم المريض هذا ويخضع لسلطانه الغاشم الشاذ .

وهذا كله يعني ان قاسم لن يقدر ان يبتلع الكويت لقمة سائغة حتى ولو أراد ذلك . وعليه ان يعلم ، اضافة الى ظروفه الخاصة التي تعاكسه في بلده نفسه ، ان الدخول قسراً الى الكويت لن يكون الا فوق جثث

جميع ابنائهـا وفوق ركام المنشآت وانقاضها ، وليترك قاسم مثل هـذه المغامرة للصهاينة المغتصبين في فلسطين .. فلن تكون هذه المغامرة بين قوم عرب تشد بينهم أنساب وتقاليد ومروءات ، هي أقوى الروابط الانسانية منذ أن عرفهم التاريخ حتى الآن .

أتريد ان تعرف شيئاً عن إرادة شعب الكويت ايهـا (الزعيم) المطالب بالكويت ؟

إذن فاعلم ان إرادة شعب الكويت هي ان يقاوم حتى آخر قطرة من دمائه في سبيل حريته .. ان إرادته هي مثل إرادة شعب العراق الذي يتململ اليوم بالحقد والكراهية والنقمة عليك وعلى حكمك .

وهكذا ترى ايهـا السيد ان مصير الشعوب لا يقرره إلا الشعوب نفسها ، فهي التي ترضى عن حكامها وتطمئن اليهم حين يكونون عادلين منصفين حافظين لأبناء الشعب حقوقهم وحقوق ابنائهم وأحفادهم من بعدهم .. وهي التي تنفر من حكامها وتكرههم وتطردهم من مراكز السلطة والقيادة حين لا يحسنون القيادة ولا يفهمون السلطة ولا يحققون العدل .

واذا قدر وبقي هؤلاء المتسلطون يحكمون ، كما بقيت انت .. فلن تكون حالهم بأحسن من حالك .. إذ تعيش بين النقمة والحقد وتقضي أيامك في ذعر وخوف .. وتنام كل ليلة في مكان .. يأكلك القلق على مصيرك ومصير حاشيتك .

وأنت وامثالك ، يا سيدي الزعيم ، جاهدون في ابتكار كل خدعة ممكنة لاخفاء القلق ، وتمويـه الخوف .. ولكنكم لن تزيدوا الطين إلا بلة .. ولا الخرق الا اتساعاً .. وإذا ما دفعك الخوف من فكرة الى

أخرى . ومن ملجأ الى آخر .. فلن تكون إلا كذاك الذي عناه شاعرنا العربي القديم حين قال :

المستجير بعمرو يوم كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وبعد يا سيدي .. فلو لم يكن لك ولأمثالك إلا هذه العيشة الزريّة عقاباً على جرائمكم ، لكفاكم ذلك . ولو كانت لك ولأمثالك ضمائر ، لكان يكفي أن تستيقظ هذه الضمائر لحظة .. أو لحظتين ، لكي تبتلعكم الأرض أو تتمنوا لو لم تكونوا .. ولم تكن لكم سلطة وسيادة على ابناء الشعب فترتكبوا هذه الآثام والمخازي .

ليس هذا نبوءة يا سيدي الزعيم ، ولا رجماً بالغيب .. ولكنه يا سيدي ، منطق التاريخ الذي تعود منذ القديم ان لا يرحم الطغاة .، ولا ينافق مع المجانين .. ولا يصفق للتافهين .

- ٢ -

من المضحكات المبكيـات في دعاوى قاسم واوهامه ، وفي نزواتـه واختراعاته الغريبة ، انه رجلٌ منّ الله عليه « بنعمة » الجهل ، في جميع ابواب المعرفة ابتداء بالقانون والسياسة وانتهاءً بمبادىء القراءة والكتابة !. ولكن الله تبارك وتعالى منّ عليه « بنعمة » أعظم من كل النعم و « هبة » أسمى من الهبات ، وهي انه « يجهل انـه يجهل » ! والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه !.

وأغلب ظني ، ان سيادة الزعيم الأوحد عبد الكريم قاسم ، وقد تعود ان يسهر الليل ، وينام النهار ، كما يفعل المقامرون ، تنتابـه « احلام النهار » وكلها أضغاث ، فاذا استفاق من نومه التائث في عقله الأوهام والحقائق ، واختلطت عليه احلام النوم وأحلام اليقظة ، وانتقم عقـله الباطن من عقله الواعي .

وحينئذ يبدأ — حفظه الله — يرسم الخطط ويخوض المعارك ، ويحرر البلدان من اقصاها الى أدناها ، بخطوط على الورق ، وبقع من حبر أحمر على الخرائط ، وكفى الله المؤمنين شر القتال .

وحين يريد قاسم ابتلاع الكويت وانتهابها ، فهو يعتمد حججاً واهية لا تقف امـام المنطق ، ولا تستقيم في ميزان العقـل ، وأقوى حججه

وأدمغها في زعمه ، « مملكة » وهمية ، الكويت فيها قضاءٌ تابع لولاية البصرة في العهد العثماني .

ولقد ناقض في هذه الحجة الواهية نفسه بنفسه ، وظل يردد هذا الادعاء ولكنه لم يجد له حتى الآن نصيراً يقف الى جانبه ، او عاقلا يؤمن بصحة دعواه ، ولن تجد خيراً من التاريخ ، من أحداثه ومن أرقامه ، دليلاً دامغاً ، وحجة قوية ، وبرهاناً ساطعاً . ومن هذا التاريخ نفسه ، القديم والبعيد ، أسوق هذه الأدلة والبراهين المستندة الى الحقائق والوقائع ، لكشف زيف هذا الادعاء وبطلانه .

ان هذا التاريخ يؤكد استقلال الكويت وحرية شعبها وشخصية كيانها منذ نشأتها حتى الآن .

لم يتغير في الكويت حكم آل الصباح ، بما ضمنه هذا الحكم من حرية واحترام للكرامة الانسانية ، فغدت الكويت ملجأ للاحرار وملاذاً لكل لاجىء سياسي تضنّ عليه بلاده بالحرية . ولقد استطاعت الكويت اكثر من مرة .. أن تفلّ أرادة الدولة العثمانية وتمنع عنها ما تطلب من الرجال الذين يفرون من وجه هذه الدولة ويلوذون بالكويت لاجئين محتمين .

ومن التاريخ .. هذه الواقعة .. كتبت استقلال الكويت منذ سنة ١٧٨٨ حتى الآن :

فقد حدث ان أسندت (متسلمية) البصرة الى السيد مصطفى آغا الذي عزم على التمرد على سلطان الدولة واعلان استقلال البصرة ، فكان ان غضب الوزير سليمان باشا والي بغداد وجهّز جيشاً جراراً سيّره الى البصرة للقضاء على ثورة مصطفى آغا .. وفي الطريق من بغداد الى

البصرة اشتبك هذا الجيش بقبائل المنتفل التي كان يقودها الشيخ توبني فهزمها ، وحينئذ أيقن مصطفى آغا ان لا قدرة له على مواجهة جيش سليمان باشا فترك البصرة هارباً .. ولم يجد غير (الكويت) ملجأ يلوذ به ويحتمي من سلطة بني عثمان فاستجار بحاكم الكويت آنذاك وهو الشيخ عبد الله الاول ابن صباح الأول .

وعلم سليمان باشا بالأمر فكتب الى الشيخ عبد الله يطلب اليه ان يسلّمه مصطفى آغا .. ولكن الشيخ عبد الله ، وقد رضع مع الحليب تقاليـد العرب وقيمهم الخلقية ونجدتهم وغوثهم ، رد الوزير بكل أنفة وكبرياء قائلاً له :

« أنت تعلم جيداً ، ان العربي لا يخذل من يستجير به » ..

وأصر سليمان باشا .. وألحّ في طلبه .. ولكن هذا الاصرار وذلك الالحاح لم يزيدا الشيخ عبد الله الا إصراراً على حماية من استجار به ، غير عابىء بكل ما كان للدولة العثمانية من قوى وجيوش . وغير آبه لما يحتمل أن يجر هذا الحادث وراءه من انتقام عثماني ..

بقي مصطفى آغا في الكويت متمتعاً بالحماية والضيافة حتى سافر الى نجد ومعه أمواله .. ولكن يد الدولة العثمانية ، لم تستطع طوال بقائه في الكويت ، ان تمسّه بأذى .. بالرغم مما كان تحت تصرف الوزير سليمان باشا من جيوش وقوى .

ترى .. لماذا لم يقدم سليمان باشا على غزو الكويت بجيوشه وتأديب حاكمها والقبض على « المستسلم » المتمرد .. بالقوة ؟

هل تراه قد عفا عنه ؟

ان أرواحاً كثيرة بريئة ، كانت قد ذهبت ضحية تمرد مصطفى آغا ، وعمله بحد ذاته ، يعد جرماً في نظر الدولة ، يستحق القتل عقاباً له .

ترى ، هــل كان سليمان باشا يتردد في دخول الكويت والقبض على المجرم بحق دولته لو كانت حقاً جزءاً من ممتلكات الدولة العثمانية ؟

نحن نريد جواباً على هذا السؤال ، ولعلنا نسمع هــذا الجواب من ابواق قاسم التي تعودت على تزييف الوقائع والحقائق لكي تنسجم مــع رغبات قاسم ودعاواه لا لكي توافق التاريخ والحقائق العلمية .

* * *

حدث هذا في سنة ١٢٠٢ من الهجرة ..

ولكني انتقـل الآن الى واقعــة اخرى ، حدثت في سنة ١٣٢٠ من الهجرة ، في عهد الشيخ مبارك الصباح .

فقد كانت تربط الشيخ مباركاً صلة بعبد العزيز افندي السالم في البصرة ، وكان الشيخ مبارك الصباح قد أرسل الى عبد العزيز السالم يطلب اليه ان يسدّد بدل المشاركة في جريدة (الخلافــة) التي كانت تصدر في كلكتا ولندن ، وكانت الحكومة العثمانية قد حظرت دخول هذه المجلة الى جميع اراضيها ومناطق نفوذها ، وذلك لمناهضة هــذه المجلة لسياسة بني عثمان وتنديدها باستبدادهم وظلمهم ، وكانت هذه المجلة تدخل الكويت برضى الشيخ مبارك وتأييده .

ولكن الوشاة وسعاة السوء ، من أعــداء الشيخ مبارك وعبد العزيز السالم ، أسرعوا في نقل الوشاية الى والي البصرة ، فأرسل هــذا ، في الحال ، من يقتحم بيت عبد العزيز ويفتش في دفاتره وأوراقه ، وكان

بين هذه الدفاتر والاوراق كتاب من مبارك فيه سخط شديد على السلطان عبد الحميد وكلام قاس على سياسته الخرقاء ، ولكن عبد العزيز السالم تمكن بحسن تدبيره ، ان يتلف الكتاب اثنـــاء البحث والتفتيش دون ان يشعر به أحد .

داهموا البيت وفتشوه ، ولم يجدوا حجة ولا مأخذاً على الرجل ، ولكنهم قبضوا عليه وزجوا به في زنزانة ضيقة وعاملوه بقسوة متناهية طوال مدة سجنه التي لم تنته الا في ايام ولاية مخلص باشا .. فهل تدلنا هذه الحادثة على تبعية الكويت للدولة العثمانية ؟. ام انها تؤكد عجز هذه الدولة عن مد يدهـــا الجائرة الى حكام الكويت ؟. وهي ما لجأت الى سجن عبد العزيز السالم الا انتقاماً من شيخ الكويت الذي لا تستطيع ان تصل اليه او ان تخضعه لسلطانها وهو المستقل عنها استقلالا تاماً ..

* * *

ومن التاريخ القريب .. هذا الدليل ..

فلقد صدرت في العراق قبل تموز ١٩٥٨ وبعده وفي حكم قاسم نفسه كتب في الجغرافية والتاريخ تعترف باستقلال الكويت وتضع في خرائطها ومصوراتها حدوداً فاصلة بينها وبين العراق ..

من هــــذه الكتب كتاب جغرافي ألفه الدكتور احمد سوسه وساهمت حكومـــة عبد الكريم في نفقات طبعه وفي توزيعه .. وفي اول صفحة منه صورة متصدرة للزعيم عبد الكريم قاسم ، وفي صفحة اخرى خريطة للعراق كاملة ، مرسومة فيهـــا الحدود واضحة وقد كتبت عليها ، بالنص ووراء الحدود العراقية ، اسماء الدول المجـــاورة (سوريا وتركيا وايران



خريطة العراق

والاردن والسعودية والكويت !.) وفي الخريطة خط احمر قاني يفصل بين العراق من جهة البصرة وبين الكويت .

صدر هذا الكتاب في سنة ١٩٦٠ واشترت منه حكومة العراق نسخاً كثيرة ، ولكن قاسم لم يحتج على ما جاء في الكتاب ، لان الوحي لم يكن بعد قد نزل عليه بآية الكويت ! وغفرانك اللهم .

* * *

وهـــذه حادثة اخرى ، يحملها التاريخ في طياته منذ سنة ١٩٢٦ م (١٢٤١ هـ) : فقد كان في الشام تاجر يدعى (ضامر بن حويمد) وكانت له قافلة محملة بالبضائع عائدة الى الشام معه ، وتعرض لها في الطريق رجل يدعى (برهـــان بك) وهو من اعوان والي الشام مصطفى باشا واصفى مقربيه .

ومن طبيعة الاشياء ان يدافع الانسان ، أياً كان ، عن نفسه وماله دفاع المستميت . ومن طبيعة الاشياء كذلك ان تسفر معركة كهذه عـــن قتلى وجرحى ، وكان بين القتلى ، برهان بك وجماعـــة من رجاله ، فخشي ضامر بن حويمد على نفسه من بطش مصطفى باشا وانتقامه ، وهو الذي عاث فساداً ونهب وسلب وطغى ، ووصلت يده في الشام اغتصاباً ونهباً الى كل ما تطاله ، وهكذا توجه ضامر بن حويمد الى الكويت محتمياً من ظلم والي الشام وفراراً من بطشه وانتقامه ، وكانت الكويت البلد الوحيد الذي لم يخضع للدولة العثمانية ولا وصلت اليه يدها

وجرياً على عادات العرب وتقاليدهم ، طلب ضامر حماية شيخ الكويت جابر الاول ابن عبد الله الصباح الذي قال له :

«أنت واهلك في حمانا وفي ضيافتنا ، فكن آمناً هانئاً ، وان يصل اليك احــد بسوء ما دمت مقيماً في حمانا ، فسأمنع عنك كل اذى حتى لو احوجت الضرورة الى امتشاق الحسام ، وهؤلاء الكرام جميعهم شهــود ، (واشار بيده الى من كان في مجلسه من اهل الكويت) ولو كان قتلك برهاناً ومن معه دون سبب مشروع ، ولو كنت أنت بدأتهم بالعدوان لما سمحت لك بالبقاء يوماً واحداً في الكويت ، ولأنزلت انا العقاب بك ، ولكني اصدقك ، ولسوف استوثق من صدق ما تقول فلا بد من ان تصل الينا اخبار دمشق وفيها ما حدث بينك وبين برهان» .

فقام ضامر من مجلسه واستلم يد الشيخ جابر وقبلها باخلاص وشكر .

وحين علم مصطفى باشا والي الشام بما انتهى اليه امر ضامر ، كتب الى الشيخ جابر يطلب اليــه تسليمه ، وكان رسله يحملون معهم توصيات وتأييدات من الوزير داود باشا والي بغداد ومن عزيز آغا متسلم البصرة، ولكنهم كانوا يعودون خائبين لأن الشيخ جابراً رجل عربي يحفظ عهده ولا يتخلى عن شهامته وإبائه ولن يخون تقاليد اجداده فيسلم من احتمى به واستجار الى اعــدائه ، ودارت الايام ، وزالت دولة مصطفى باشا ، فغضبت عليه الدولة العثمانية وسيق الى الاستانة وهناك حوكم .

حينئذ سأل الشيخ جابر ضامراً ان كان يرغب في الرجوع الى بلده واهله او يفضل البقاء في الكويت ، فاختار ضامر بن حويمد ان يبقى في الكويت وقال : لن ارحل عن بلد آواني وحماني من عدوي في اشد ايام المحنة ، وسابقى هنا مقضياً بقية العمر ، وفيها ارجو ان اموت وادفن .

هذا ما قاله ضامر بعد ان لم يجد الأمن والطمأنينة والحمــاية الا في الكويت المستقلة التي لم تخضع لدولة بني عثمان .

وفي هذه القصة الرائعة يجلو لنا التاريخ جوهر الخلق العربي الاصيل الذي يتمتع به الكويتيون وامراؤهم نخوةً وشهامة ونجدة ونصرة للحق ، ويبخس حقهم هذه الايام من يبخس ، فلن ينال الا الخسران !.

* * *

ومن فمك ادينك ، يا سيادة الزعيم الاحد ، ومن وثائق دولتك وعهدك اسوق هذا الدليل .

طلب قاسم من « حكومة » الكويت ان توافق على فتح (قنصلية او ممثلية) ترعى في (الكويت) مصالح العراقيين المقيمين فيها ، وطال الامد على هذا الطلب ولم يتلق جواباً من حكومة الكويت فأرسل من العراق وفداً يقضي في الكويت فترة من الزمن يجدد فيها جوازات سفر الجالية العراقية ، وكانت هذه عادة متبعة ، فقد ارسل وفد مثل هذا قبل قيـــام حكم قاسم وكان ذلك في سنة ١٩٥٧ ، وارسل وفـــد آخر بعد قيام حكمه نفسه .

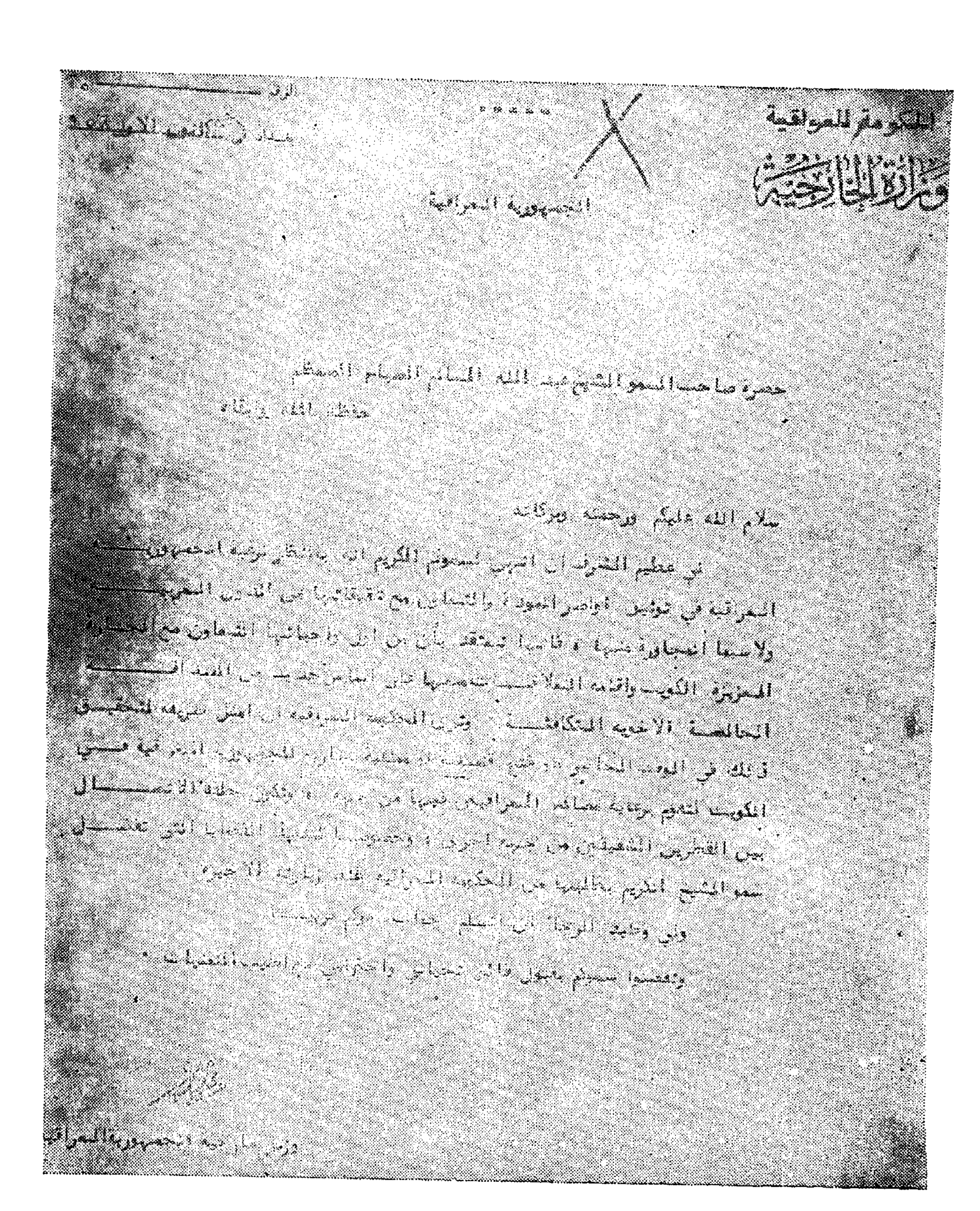
ونزل الوفد ضيفاً على حكومة الكويت التي اكرمت وفادته لانه وفد عربي جاءها من جارة عزيزة هي دولة العراق .

ترى ، كيف تفسر يا سيادة الزعيم الاوحد هذه الواقعة ؟

أيكون تفسيرها ، ان الكويت قضاء تابع (لولاية) البصرة ، أم انها دولة حرة مستقلة استقلالا تاماً ؟!

* * *

وما دامت اغنية ولاية البصرة وقضاء الكويت ، مـــا تزال تهوّم في رأس سيادة الحاكم ممقوتاً في بغداد ، ومـــا دام حاوي بغـــداد الجديد



الحكومة العراقية
وزارة الخارجية

الجمهورية العراقية

حضرة صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح المعظم
حفظه الله ورعاه

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

من عظيم الشرف أن أنهي لسموكم الكريم أن [illegible] رغبة الجمهورية العراقية في توثيق أواصر المودة والتعاون مع [illegible] العربية ولاسيما المجاورة [illegible] التعاون مع [illegible] الكويت [illegible] الكويت [illegible] بين القطرين الشقيقين [illegible]

سمو الشيخ الكريم [illegible]

[illegible]

وتفضلوا سموكم بقبول فائق احترامي [illegible]

[illegible]

وزير خارجية الجمهورية العراقية

طلب فتح قنصلية عراقية في الكويت

لا يجد في جعبته الا هذا (الثعبان) ، فلنستعن بـ (عصا موسى) التي هي هذه الفقرات من كتاب « العرب والترك في العهد الدستوري العثماني» للاستاذ توفيق علي برو ، بعد الاعتذار للمؤلف .

جاء في الصفحة الثامنة والثلاثين من هذا الكتاب :

« أزمة الكويت .

اما ازمة الكويت ، فان انجلترا ، وقد خشيت من سيطرة الالمان على وادي الرافدين والخليج العربي ومن القضاء على نفوذها العريق في هـــذه المنطقة ، وخافت ان يفلت من يديها زمام طريق الهند بسبب مدّ الالمان لسكة حديد بغداد ، بادرت الى عقد معاهدات مع شيوخ الساحل العربي ، وخاصة مع امير الكويت مبارك الصباح الذي كانت معـــاهدتها معه سنة ١٨٩٩ سرية . وقد تعهد فيها بان لا يؤجر او يتنازل باي صورة عن أي جزء من اراضيه لحكومة غير الحكومة البريطانية . واما الذي هدفت اليه هذه الخطوة فهو ان تقف مانعاً دون وصول سكة حديد بغداد حتى الخليج العربي . وفي الحقيقة لما جاء (ستمرس) قنصل المانيا في الاستانة على رأس وفد ، وفي عام ١٩٠٠ الى الكويت وحاول شراء ارض من مينائها واستئجار عشرين ميلا مربعاً من الارض حولها لاقامة محطة للسكة الحديد في رأس كاظمة ، أبى امير الكويت استقباله ورفض طلبه تنفيذاً للاتفاقية المعقودة بينه وبين الانجليز . لكن السلطان عبد الحميد ومن ورائه قوة الدفع الالمانية لم يغفر للامير هـــذا السلوك فأوعز الى والي بغـــداد بارسال قوة عسكرية عثمانية تحملها سفينة حربية الى ميناء الكويت لاحتلال المدينة سنة ١٩٠١ غير ان الحكومة الانجليزية كانت لها بالمرصاد، وسرعان ما ظهر طراد انجليزي ومنع انزال الجنود الترك منها ، كما تدخل الانجليز

ثانية عندما حاول السلطان دعوة امير الكويت الى الاستانة لاحتجـازه فيها ، ومنعوا تنفيذ هذا الامر فما كان من السلطان الا ان حرّض امير حائل على مهاجمة الكويت . ولم تسلم المدينة من السلب والنهب الا بتدخل الانجليز . ولما ظهر لالمانيا وتركيا صعوبة اخضاع امير الكويت لرغبتهما وجعل مدينته منتهى الخط الحديدي حوّرتا المخطط فجعلتا نهاية الخط في رأس هور عبد الله لـكن الشيخ مبارك ادعى ملكيته لجميـع الاراضي الواقعة شمال الكويت الى أبعد من هور عبد الله بعشرين ميلا ، بمـا فيها كاظمة وفيلكة وجزيرة بوبيان . فسارع السلطان الى ارسال طابور من الجند أقام هناك نقطة عسكرية ، فلم يسع الانجليز الا الاحتجاج ، وارسلوا قطعاً من اسطولهم الى الخليج وبدأوا يسلحون الامير مبارك الصباح الذي اخذ يستعد للحرب ، فاضطر السلطان الى الرضوخ في هذه المرة ايضاً واعترف بتبعية كاظمة وفيلكة وبوبيان لأمير الكويت » ا . هـ .

ومع هذا كله ، يصر قاسم على دعوى ان الكويت قضاء تابع للواء البصرة ويتخذ من هذه الدعوى الباطلة حجته الوحيدة التي يتشبث بهـا تشبث الغريق بعود من القش ، وهو يرى ان هذه التبعية يمتد تاريخهـا الى زمن الدولة العثمانية .

اما نحن ، فاننا نرى التاريخ يحدثنا عن مفاوضات جرت بين الدولة العثمانية وبريطانيا في مؤتمر لندن سنة ١٩١٢ ، ومثل الدولة العثمانية حقي باشا بينما مثل الدولة البريطانية السر إدوار غراي . وقد انتهت المفاوضات بينهما الى اتفاقية ٢٩ (يوليـه) سنة ١٩١٣ التي اعترفت فيهـا الدولة العثمانية باستقلال الكويت الاداري ووعدت بالكف عن محاولة التدخل في شؤونها ، ووراثة الامارة من بين هذه الشؤون ، وعن كل عمل اداري كالاحتلال او أي عمل عسكري ضمن حـدود الاراضي الكويتية العائدة

للامارة . ولقد تضمنت هذه الاتفاقية ايضاً اعتراف الدولة العثمانية بشرعية المعاهدة الانجليزية الكويتية المعقودة في ٢٣ كانون الثاني (ينـــاير) سنة ١٨٩٩ ، كما تضمنت تخليها عن اي ادعاء او مطالبة بقطر والبحرين .

* * *

الأغنية الوحيدة التي يرددها قاسم ولا يمل ، وتخرجها اذاعة بغداد كل يوم على الناس بشكل او بآخر ، وتتلمظ بها شفاه زبانية قاسم بجوع نهم وشوق حار .

هذه الاغنية ، تهدهد بها اذاعة بغداد بطون الشعب العراقي ، وهو يرى امواله يبعثرها قاسم ذات اليمين وذات الشمال ، يشتري بها تماثيل ، تمثله وهو واقف ، تمثله وهو نائم ! ويبني ساحات تحمل اسمه الكريم ! . او يشتري اسلحة يعطيها للملا مصطفى البارزاني لكي يحارب بها انصار عبد الــكريم قاسم من الاكراد انفسهم ، ويعطي غيرهـــا لانصاره من الاكراد لكي يحاربوا بها الملا مصطفى .

الشعب جائع .. وعبد الكريم قاسم ، وهو مقامر اصيل ، يصرف اموال الشعب ، كما يبــذر المقامر ما يربحــه في القمار دون اي حساب للمستقبل ، بل حتى للعبة القمار التالية .

الشعب في العراق جائع وفقير ، ولكن اذاعة بغداد تعلله بالكويت وبثروة الكويت ، لكي تخفف من نقمته على قاسم وعلى زبانيـــة قاسم وهيهات ! ليس لاذاعة بغداد من اغنية تهدهد بهـــا اعصاب الشعب الا هذه الاغنية اليتيمة ، اغنية « ان الكويت كانت قائمقاميـــة تابعة لولاية البصرة في تقسيمات الدولة العثمانية الاداريه » .

ترى ماذا يقول قاسم الان ، بعد ان كشف له بالدليل الناصع وبالوثائق التاريخية ، ان الدولة العثمانية نفسها اعترفت باستقلال الـكويت واعترفت بالمعاهدة المعقودة بين بريطانيا وبين الكويت كدولة حرة مستقلة ؟

اني اشفق على هذا الرجل ، وهو يرى حججه الواهية تنهار واحدة بعد الاخرى كما تنهار بيوت تبنى على الرمـال دون أسس او عماد ، واشفق على هذا الرجل ، ولقد عبثت به اطماعه الشعبية ، ففقـد حاسة التمييز ، وقابلية الادراك ، وانطلق سادراً في غيه ، لا يوقفه شيء،ولن يقف في طريقه ، الا نهايته المحتومة طال الأمد أم قصر .

الجمهورية العراقية
وزارة الخارجية

الكويت

رسالة وزير خارجية العراق الى الشيخ جابر الصباح

الجمهورية العراقية
وزارة الخارجية

الرقم ....
بغداد في ....

العطلين من الرعايا الكويتيين في طريقهم الى لبنان . وأخيرا ، فان الحكومة العراقية ستولي أمر تبليط الطريق الموصل الى صفوان اهتمامها وذلك ضمن خطتها الاعمارية التي هي موضع التنفيذ .

ولا بد ان أشير بهذه المناسبة الى سرور سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة بزيارة الوفد الكريم وترحيبه بهذه الخطوة المباركة ، وهو يرجو ان تكون هذه فاتحة خير في تنمية العلاقات الاخوية والمصالح المتبادلة بين ابناء البلدين .

وختاما أرجو ان تتقبلوا تهانئي القلبية على حسن اختياركم للاخوين الكويتيين السادة نصف اليوسف النصف واحمد السيد عمر اللذان كانا خير من يحمل رسالة الاخوة العربية الصادقة .

وتقبلوا فائق الاحترام والتقدير راجيا لكم ولكافة الاخوان في الكويت الخير والسعادة والتوفيق .

المخلص

هاشم جواد
وزير الخارجية

المرفقات :
محاضر اجتماعات الوفد

- ٣ -

نحن مع قاسم ، ان كان يثور للكرامة العربية وينقم على اية معاهدة اجنبية جـــائرة ، ان كانت لديه نخوة عربية ونزعـة للحرية وتوق الى الكرامة .

نحن معـــه ان صدر عن منطق قومي سليم في ايـــة قضية من قضايا العرب ، واتخذ موقفاً ايجابياً سليماً ، ولكننا خصومه ، وخصوم الباطل حين يصدر عن منطق شعوبي أشعبي ، ويستقي من مستنقع التاريخ ماء كدراً آسناً ، يشرب منه ، ويريد الاخرين ان يشربوا معه .

لو كان لقاسم ، حس عربي سليم ، وشعور قومي اصيل ، لرحب باستقلال الكويت عن بريطانيا نهائياً ، وتملكها لكامل سيادتها واحتفاظها بشخصية كيانها

لو كان لقـــاسم ، هـــذا الحس العربي السليم وذلك الشعور القومي الاصيل لكان اول من اعترف باستقلال الكويت ، وهو الذي كان قد ارسل الى حكومة الكويت قبل ذلك اكثر من كتاب ورسالة ، يخاطبها

رئاسة الوزراء

بغداد

الرقم ...
التاريخ ١٩٥٨/١٠/٩

سمو الأخ الكريم عبد الله السالم الصباح حفظه الله

امير الكويت

تحية طيبة وبعد

اشكر لسموكم العواطف الاخوية والمشاعر النبيلة التي عبرت عنها رسالتكم بزيارة الوفد الكويتي للعراق .

ان العراق حكومة وشعبا ترحب بقدومكم في اي وقت تشاؤونه اما بشأن الصعاب التي اشارت اليها رسالتكم الكريمة فازالتها بحمد الله وان كل ما يطلبه اخواننا في الكويت سيكون في متناول ايديهم . وما واقع العراق مع شقيقته الكويت الا تعزيز الاخوة والتعاون وفق النهج الصحيح لخدمة الامة العربية .

وتفضلوا بقبول تحياتنا الخالصة وتمنياتنا الطيبة .

الزعيم الركن
عبد الكريم قاسم
رئيس الوزراء

فيها مخاطبة الند للند ، ويطلب الى الحكومة الكويتية فيها تبادل الوفود لبحث قضايا البترول والتجارة .

فما عدا مما بدا ، يا سيادة الزعيم الاوحد ؟؟

ولقد صرح عبد الكريم قاسم اكثر من مرة ان المعاهدة البريطانية الكويتية السابقة معاهدة جائرة ، حتى اذا نالت الكويت استقلالها وابطل مفعول تلك المعاهدة ، نسي تصريحاته العلنية ، او تناساها ، فالمعروف عنه انه يحتفظ بنسخ من كل خطبه وتصريحاته ، يقرأها لكل من يدفعه سوء الحظ الى مقابلته في مقره في وزارة الدفاع .

فلماذا تناسى عبد الكريم قاسم تلك التصريحات ، ولماذا اصر على جوره وافتئاته ، بعد ان نالت الكويت استقلالها وحريتها كاملين غير منقوصين ؟

ولماذا لم يمد اليها يده ، وقد اصبحت عضواً في الجامعة العربية ، وانجزت في هذه الفترة القصيرة منذ دخولها الجامعة وخلال عام واحد اشياء تستحق التقدير والاكرام ، مثل انشائها صندوق التنمية العربية الذي يعد خير دليل على حسن نواياها ورغبتها الصادقة في خدمة الامة العربية التي هي جزء منها .

فقد أمدت الاردن بقرض مقداره سبعة ملايين ونصف من الدنانير وأمدت السودان بقرض يساوي قرض الاردن ومنحت لبنان قرضاً بخمسة ملايين دينار كويتي ، وهي على استعداد تام لمد كل مشاريع الدول العربية بقروض عربية كويتية غير مشروطة ، لا غاية لها من وراء ذلك

حضرة صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح المحترم

الكويـــت

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

وبعد فقد تلقيت رسالتكم الكريمة المؤرخة في ١٦ رجب ١٣٨٠ ببالغ الغبطة والسرور وانا لنقدر لسموكم تكرمكم بابلاغنا ماتقومون به في سبيل تعزيز كيان الكويت الشقيق وتأمين تقدمه ونرجو الله القدير ان يأخذ بأيديكم لتحققوا ماتصبون له مخلصين .

ان تأخر جواب سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء مرجع الى جسامة مسئولياته ، كما ذكرتم سموكم ، ولكم لاشك ، [illegible] خير تفاهم فيما تبحثه من قضايا ومشكلات ، الله ملاذنا بعض اخواننا المصريين ، وسيصافحنا الزمن قريبا بعون الله لنتباحث في كل مايهم بلدينا الشقيقين ،

ولابد لي ان انتهز هذه المناسبة لاعتذر لسموكم عما طرأ من تأخير في اجابتي على رسالتكم الكريمة بسبب انشغالنا في الاعداد لعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية الذي سهل الله العلي القدير على ان نتقدم فيه لجميع الاخوة العرب ببغداد ، فكان الاجتماع من اسعد الفرص اذ انتظم عقد الدول العربية لاول مرة بعد فرقة ، آملين ان يسير الركب العربي بعد اليوم صفا واحدا ويدا واحدة . وانا بهذا لنؤمن بأن جمع الشمل في جو من التفاهم والاخوة وتقدير الظروف هو الاساس الذي يجب ان تبنى عليه العلاقات العربية حاضرا ومستقبلا .

اننا ياصاحب السمو لانفتأ نتدارس السبل المؤدية لذلك ، وعلى هذا فيسرني ان اذكر لسموكم ان ماتفضلتم باقتراحه في رسالتكم هو قيد الدرس ، وان مايهم حكومة الجمهورية العراقية ان تتاح لها الفرصة في القريب العاجل ان شاء الله ان تتدارس مع الكويت الشقيق كل مايهم البلدين ، وما من شأنه ان يقوي ثباتهما ويقرب بينهما روحا وعملا .

ويسرني ان انتهز هذه الفرصة لابلغ سموكم ان العراق حكومة وشعبا يقدر تمام التقدير جهودكم في سبيل تحقيق ازدهار

الكويت الشقيق ومجده . وفقنا الله تعالى جميعا لما فيه الخير والصلاح .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

هاشم جواد
وزير الخارجية

بغداد في ١٨ رمضان ١٣٨٠
٥ آذار ١٩٦١ .

الا خدمة هذه الامة ، ومساعدتها على رفع مستواها الاقتصـــادي وتنمية مواردها واستثمارها .

* * *

ومرة اخرى ..

من مضحكات قاسم المبكيات ، هذه النكتة المأساوية :

فلقد صرح ، حفظه الله وابقـــاه ذخراً للعرب والمسلمين ، انه اذا استعاد القضاء السليب (الكويت) فسيعمل ، على بنـــاء المستشفيات والمدارس ، فتأمل !

هذا هو عبد الكريم قاسم ، دائماً ، جهلٌ فاضح ، وغباء سياسي ، وستراتيجية عتيقة ، عفى عليها الزمن ، ولم يعد ينتفع بها احد في عصر الذرة واكتشاف الفضاء .

انه يظن ، بل لعله واثق كل الثقـــة ! انه يستطيع بهذا ان يقنع الشعب الكويتي او يخدعه ، ليرحب بسيادته ويستقبله استقبال الفاتحين الكبار .

ولكن اصغر طفل ، في اصغر مدرســـة في الكويت ، يستطيع ان يؤكد لك ان قاسم لا يعرف شيئاً عن الكويت .

فان في هذا البلد الصغير الناشيء اكثر من مائة وخمسين مدرسة على اختلاف مستوياتها ، واكثر من أضعاف حاجته من المستشفيات والمستوصفات ، ونحن واثقون ان سيادة الزعيم الجاهل لا يعرف ان المعالجة في المستشفيات بالمجان ، وكذلك الدواء ، وان التعليم في الكويت وبجميع مستوياته ومراحـــله ــ ابتداء بدور الحضانة ــ وانتهاء بالتخرج في الجامعة ، مجاني ايضاً ،

ومجاني ايضاً كل ما تقدمه المدارس للطـلاب من كتب ودفاتر واقلام وغذاء وملابس واحذية .

ولكن سيادة الزعيم الجاهل الاوحد ، يعدنا انه (سيعمل) على بناء المستشفيات والمدارس ، ان هو غزا الكويت ، وانتهب خيراتها ، واشترى بمواردها تماثيل ، وبنى ساحات تنصب فيها تماثيله !!

ليت شعري ، هل اتخم قاسم العراق بالخدمات الاجتماعية فزادت على حاجته ، فأراد ان تعم اريحيته وجوده شعب الكويت ؟

* * *

نصيحة مخلصة لوجه الله ، نزجيها الى قاسم ، ولا نبتغي من ورائها جزاءً ولا شكوراً ، هي ان يُعنى بنفسه وبشعب بلاده ، ان كان له حقاً مثل هذا الشعور الطيب الفياض نحو شعوب العالم .

ترى ، هل نسي قاسم ان في الأهوار البعيدة عن بغداد ، وفي جنوب العراق بالذات ، اقوام هم في امس الحاجة لا الى المدارس والمستشفيات وحسب ، بل الى الغذاء والكساء .

وفي هذه الاهوار يا سيادة الزعيم الجاهل ، اناس لم يسمعوا باسمك ولم يعرفوا حكمك ، والعارفون منهم ، يقولون لك ، ان الذي يحكمهم هو فيصل الاول ، وان عاصمة العراق هي لواء الناصرية ، وان نهـاية الدنيا اميال معدودة وراء الاهوار ! وهم على حق يا سيدي ، ما دامت انوار حكمك الزاهر لم تصل الى (كبائسهم) ، ومـا دامت قراهم العائمة على مياه الاهوار لم تطأها قدما موظف منذ سنوات كثيرة ، وقبل

ان تشرق على العراق شمسك الباهرة !

هذا جزء من شعبك ، كان اولى بك ان توليه عنايتك ، وتفتح له المدارس وتبني المستشفيات ، وتوصل اليه وسائل الكهرباء وإسالة الماء ، ولو جشمت نفسك عناء السفر الى هـذه الاصقاع المجهولة من بلادك ، لما كلفك ذلك اكثر من ليلة في القطار ، ونهار في زورق بخاري !

لقد اسمعت لو ناديت حياً   ولكن لا حياة لمن تنادي !

* * *

ونصيحة اخرى ، نقدمها مجاناً لسيادة حاكم العراق بالحديد والنار .

ليسأل ابناء الشعب ، او ليرسل من يسأل ابناء الشعب ، ان كان لا يستطيع ان يفعل ذلك .

ليسألهم كم هم الذين يرضون ببقائه وبقاء حكمه وطغيانه وجوره ؟

وليسأل نفسه مرة اخرى ، ساعـة يستيقظ ضميره ، ماذا حقق من انجازات كان ينتظرها شعب العراق ، بعد ان تخلص من الحكم الملكي السابق ؟

هل أوصل بلاده الى شاطىء الامان ؟ فأراد ان ينقذ الجيران ويوصلهم مع بلاده الى ذلك الشاطىء ؟.

ان سفينة شعب العراق ، تتلاعب بها الرياح الهوج ، وهي توشك ان تغرق ، بسبب قسوة الرياح ، وهيـاج العواصف ، والافق أربد

وشاطىء النجاة بعيد ، الا اذا قيّض الله للعراق من يرفع عنه هذه الغمة ، فينقذ الشعب من جور قاسم ، ويوصل السفينة الى البر ، بعد ان يقطع الطريق على الطغاة والمجرمين ، فلا يصلوا ابداً الى مناصب السيادة والحكم .

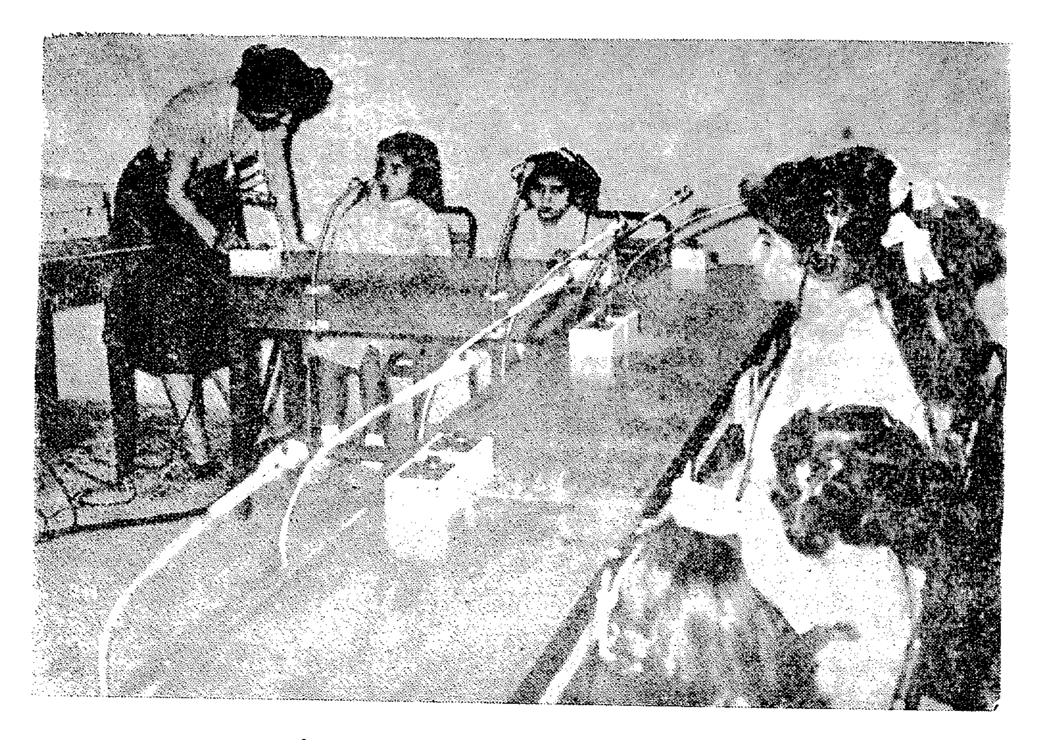
اذا كان قاسم قد اراد من اثارة قضية الكويت ، ان يكسب شيئاً من الرصيد الشعبي او ان تكون (الكويت) وقضيتها نوعاً من (الاستهلاك المحلي) يلهي به الشعب عن همومه ومشكلاته ، فانه واهم في ذلك كل الوهم ، جاهل نفسية شعبه كل الجهل .

واذا كان قاسم قد عجز عن ايجاد حلول ناجعة للمشكلات الداخلية الراهنة التي تتناوش حكمه ، فان قضية الكويت لن تكون ابداً سفينة نجاته ، ولا حتى ورقته الاخيرة ، فلقد انتهى هذا الرجل منذ زمان ، وليست محاولاته الاخيرة هذه الا نوعاً من حشرجات الموت ، قبيل النفس الاخير .

وما ظلمناهم ، ولكن كانوا انفسهم يظلمون !.

صدق الله العظيم .

المدرسة المباركية

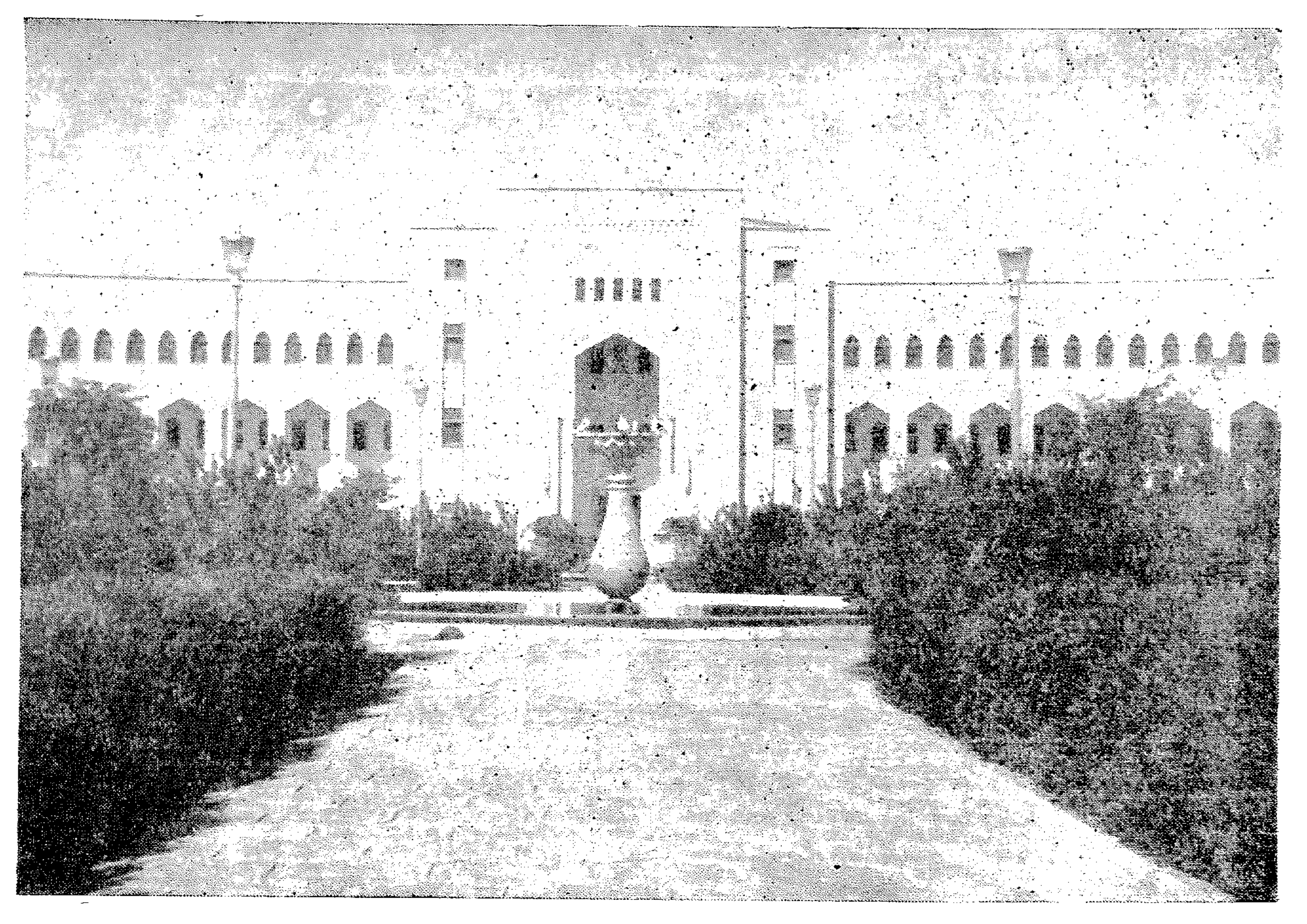


تعليم النطق للصم والبكم في معهد الأمل

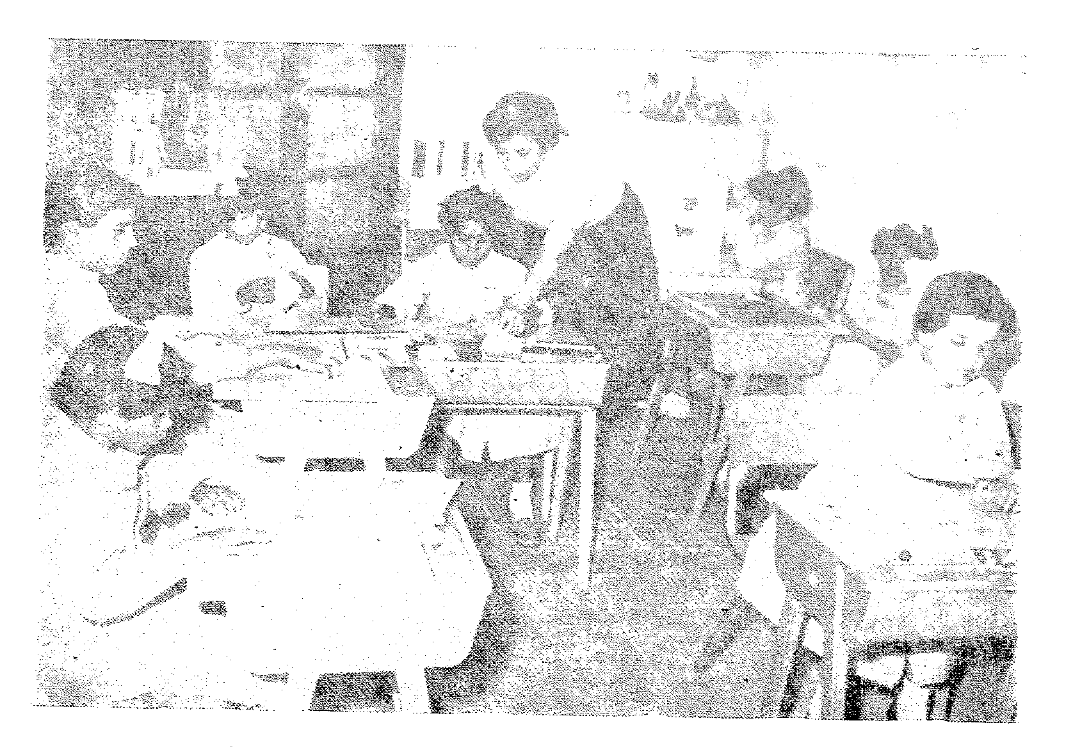
مشهد من رياض الأطفال



طالبات في مدرسة مكفوفي البصر



مدخل مدرسة ثانوية الشويخ



معهد التربية للطالبات والطلاب المتأخرين عقلياً

— ٤ —

انا واثق ان الشعب العراقي ليس بغافلٍ عن هـذه الازمة المفتعلة التي يثيرها عبد الكريم قاسم لإلهائه وصرف انتباهه وتحويل اهتمامـه عن قضايا العراق الداخليـة الحساسة .

ففي الوقت الذي يثير فيه هـذه العجاجة الغبراء ، يرزح العراق الشقيق تحت أعباء ضخمة ومسؤوليات جسيمة أذكر منها على سبيل المثال نقصاً عظيماً في المـيزانية العراقية يبلـغ ما يقارب مائـة مليون من الدنانير .

ولكن قاسم ينسى او يتناسى كل مشكلات البلد الداخلية وينصب من نفسه معلماً في التاريخ والجغرافية ، يلقي على الشعب محاضراته بالاكراه . معلم فاشل رسب في امتحانات السياسة الداخلية ، بعد ان فشل في فهم روح التاريخ وحتمية منطقه ، كما عجز عن إدراك الخيط المتين الرفيع الذي يشدّ بـين الانسان وحريته التي تفضل في مجال الاختيار ، على كل قضية جغرافية مزعومة .

ورحم الله المتنبي ، فقد كان نقم على مصر قبل ألف سنة ، انهـا يحكمها عبد مملوك ، جمع السلطان بين يديه بعد ان قضى على خصومه . ورحم الله المتنبي ، فلقد كان ابتلاه الله ان يعيش في عصر وفي بلاد :

بها نبطيٌّ من اهـل السواد يدرِّس أنسابَ أهـل الفلا
وأسودُ مشفره نصفه يقال له : انت بدر الدجى

ولكن بـدر دجى العراق ، فاق بـدر دجى مصر ، كافور الاخشيدي ، واستطاعت هـذه الألف من السنين ، التي تفصل بين البدرين ، ان تزيد من عبقرية البدر الجديد ، الذي انحدر على العراق من بلاد التتر .

* * *

ترى ، أين ذهبت ملايين الدنانير العراقية التي تكبدتها خزينة العراق خسارة إسراف وتبذير وإنفاق في غير موضعه ؟

أتراها صرفت في المشاريع العمرانية ؟

أم في المشاريع الاصلاحية ؟

أم انها صرفت في سبيل النهوض بمستوى الشعب ؟

اللهم اشهد .. انها لم تصرف في أي من هذه السبل .

اللهم اشهد ان هناك بيوتاً ومناطق من عاصمة العراق نفسها لم يصل اليها بعد نور الكهرباء .

اللهم اشهد ان العراق ما يزال يشكو من فقر ، ومرض ، وجهل .

اللهم ان قاسم أمّم الفوضى في العراق ، سياسة وحكماً وادارة .

اللهم اشهد ان قاسم العراق ، اعترف بالكويت ، ثم عـاد فسحب اعترافه وادعى تبعيتها له ، جشعاً وطمعـاً ، وبالرغم من كل القوانين والدلائل التي تؤكد استقلالها وتؤكد اعترافه ، الذي عاد فأنكره .

كان قاسم قد افصح عن رغبتـه ، في تبادل التمثيل القنصلي بـين الكويت والعراق ، وطلب ذلك خطياً في كتابه الموجه الى حكومة الكويت والمؤرخ في ١٩/١٢/١٩٥٨ .

ان سجلات الكويت الرسميـة ما تزال محتفظة بوثائق المراسلات التي جرت بين الحكومتين ، وهي تثبت ان معاملة الند للنـد ، كانت الروح السائدة في تلك المراسلات .

من هذه الوثائق رسالة رسميـة موقعة من قبل وزير خارجيـة العراق السيد هاشم جواد ، وموجهة الى حكومة الكويت ، تقترح فيها ارسال وفـد كويتي ليفاوض السلطات العراقية حول قضايا التبادل التجاري بين البلدين ، وتاريخ هذه الرسالة هو ١٦ / ٦ / ١٩٦٠

ومن هـذه الوثائق ايضاً رسالة اخرى موقعة من قبل الدكتور طلعت الشيباني وزير النفط في حكومة قاسم ، وهي موجهة الى حكومة الكويت وفيها اشعار بانعقاد مؤتمر البترول في بغداد واقتراح بارسال وفد كويتي يمثل الحكومة الكويتية .

وانا اسأل :

هل تؤيد هذه الوثائق دعاوي قاسم بتبعية الكويت ؟ بعد ان اعترفت حكومته بالكويت وكيانه وشخصيته الدولية هذا الاعتراف الصريح ؟

ان أغبى الاغبياء يدرك بداهة غرابة هذه الدعوى وبطلانها فكيف بأذكى الأذكياء سيادة الزعيم الأوحد ؟

لم يحدث في التاريخ قط ان طلبت دولة الى جزء من اجزائها التابعة لهـــا أو من (قضاء) من أقضيتها طلبات رسمية وبوثائق رسمية مثل تلك التي طلبها قاسم بواسطة وزيريه هاشم جواد وطلعة الشيباني .

وقد يقول قائل انها كتب موقعة من قبل هاشم جواد وطلعة الشيباني ولا يمكن ان يعد الزعيم عبد الكريم قاسم مسؤولاً عنها .

وانا واثق ان مثل هذا القول لن يقوله الا واحد من اثنين : جاهل بأوضاع العراق وسيطرة قاسم على كل شيء بحيث لم يعد الوزراء الا مجرد (كتّاب ضبط) في مكتبه ، أو عالم ساخر ، يريد ان يشير من طرف خفي الى (مهزلة الحكم) التي تمثـــل ادوارها الكوميديـــة على مسرح بغداد !! وقد وزع الادوار على الممثلين ، مخرج ذكي ماهر مختف وراء الكواليس !.

* * *

وقد يدفعني الفضول وحب الاستطلاع ، ان اطرح سؤالاً آخر مجرداً من كل غاية ، منزهاً عن كل غرض ، الا الاستزادة من المعرفة .

لو كانت الكويت بلداً فقيراً لا نفط فيـــه ، أكانت قيامة قاسم قد

قامت ولم تقعد ، مطالبة (بالقضاء) الفقير السليب ؟

اذا كانت الكويت ملحقة بالبصرة في عهــد بني عثمان ، لو افترضنا ذلك افتراضاً ، فان هنــاك اجزاءً اخرى ليست بحاجة الى الافتراض والتخيل ، بل انها تسندها حقائق التاريخ ، فقد كانت اجزاء من تركيا وسوريا ملحقة حقاً لا افتراضاً بولايــة الموصل ، فلماذا لم يطالب بهــا سيادة الزعيم الأوحد الشجاع ، ولمــاذا لم يطالب سيادته بمنطقة الأهواز من ايران ، وهي منطقة عربية يسكنها عرب أقحاح منذ قرون ؟. لماذا لم يسل لعابه طمعاً ، ولم تثر نخوته العربية الأصيلة ؟!

هذه أسئلة ليس لي من ورائها إلا حب الاستطلاع ورغبة في استزادة المعرفة ، واذا لم يستطع سيادة الزعيم الشجاع ان يقدم اجوبتهــا ، فإني مستعدٌ ان اكفيه مؤونة الجواب ومشقته ، ببيت واحد من الشعر ، قاله شاعر عربي قديم منذ اكثر من الف سنة ، وذهب مثلاً :

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافر !

ولله في خلقه شؤون !!

— ٥ —

ما هو موقف قاسم من الحقائق التاريخية الناصعة التي تدحض مزاعمه وتودي بمنطقه المتهاوي ، فتزهق باطله ، وتذيع على الملأ حق الكويتيين الذي لا يمارى في الحرية والأمن في بلدهم ؟

ولقد حفلت سجلات التاريخ بأخبار (اللاجئين) الذين قصدوا الكويت في عهد الشيخ جابر ، من غير الذين ذكرناهم في الفصول السابقة ، نورد هنا بعضاً من اخبارهم تأكيداً لحقيقة ان الكويت ملجأ للاحرار الذين يهربون من جور الدولة العثمانية .

ومن هؤلاء اللاجئين ناصر باشا السعدون ، زعيم « المنتفك » ، وقد لجأ الى الكويت ايام الشيخ عبد الله بن صباح ، فلم تقدر يد العثمانيين الجائرة ان تمتد اليه في الكويت .

* * *

وهذه واقعة اخرى ، من نوع آخر ، نسوقها للتدليل على ما ذهبنا

اليه من استقلال الكويت ، ومن انهـا كانت موطن نجدة ، ومقصد استغاثة يجيئها كل لائذ يطلب الغوث والنجدة .

ففي أيام علي باشا والي بغداد ، تمردت بعض القبائل العراقيـة على الحكومة العثمانية ، واحتلت البصرة وطردت منها المتسلم وجنوده العثمانيين . فجاء المتسلم الى الكويت وارتمى على قدمي الشيخ جابر بن عبدالله يطلب النجدة والغوث ، فثارت في الشيخ جابر نخوته العربية النبيلة ، فاستجاب للخلق العربي الأصيل ، وأنجد متسلّم البصرة بسفن ملأى بالرجال والمدافع والذخيره ، وسار مع السفن بنفسه الى البصره ، فكان العامل الفعال في استخلاص البصرة واعادتها الى أهلها . وكان ان شكرت الحكومة العثمانية للشيخ جابر هذه الهمة والنخوة ، واعترفت له بهذه اليد الكريمة .

هل كان هذا الموقف ، يختلف عن موقف أية دولة لها سيادتها على ارضها وقوتها ومنعتها ، انه موقف دولة انتصرت للدولة العثمانية وأعادت واليها الى منصبه .

انه موقف الكويت المستقلة ذات السيادة في ارضهـا ، وذات القوة التي تمكنها ان ترجع الحق الى نصابه .

ان هذه الحادثة وحدها ، لتستطيع ان تقنع اشد الناس غباءً بضلال قاسم وبطلان دعاواه ..

ولكن هل يقتنع قاسم نفسه ؟

ام ان طمعه ولعابه السائل ، يعميانه عن رؤية الحقيقة السافرة ويدفعان به الى الاستمرار في غيه ، حتى ينتهي من تلقاء ذاته الى النهاية المحتومة ، الخسارة والخذلان .

ولو ان هذا الرجل يعيش مع شعب العراق حقاً ، ويعي رأي الشعب فيه وفي حكمه .. لو كان يستطيع الخروج من قلعته في وزارة الدفاع ليقابل حقيقة ذاته في مرآة الشعب .

لو ان هذا حدث ، لتخلى سيـــادة الزعيم الاوحد ، لا عن مطالبته الأشعبية بالكويت وحسب ، بل حتى عن مسؤوليـــة حكم العراق التي فشل في حملها ، كما فشل في تقديرها ، فحقّ عليه حكم الشعب وحكم التاريخ .

* * *

هل كان سلطان قاسم أوسع من سلطان الامبراطورية العثمانية ؟ او لا يرى ان استنجاد العثمانيين بالكويت شيء يعني اكثر من مدلوله الواقعي ، فهو اعتراف واضح باستقلال الكويت وبحرية الكويت ، وهل أدّل على ذلك من شكر الدولة العثمانية الذي وجهته الى الكويت ؟

يدعي قاسم ان الكويت كانت تابعة للدولة العثمانية .

اما التاريخ فله رأي آخر مسند بالوقائع والوثائق ، وهو ان العثمانيين حاولوا الاستيـــلاء على الكويت ، ولكن محاولتهم فشلت كما فشلت كل المحاولات التي جرت لتحقيق هذه الغاية .

* * *

ان التاريخ يروي ان سنة ١٣١٧ من الهجرة ، شهدت قنصل المانيا في بغداد يقدم الكويت حاملاً معه توصية من مشير بغـــداد الى الشيخ

مبارك الصبــاح ، لعلّه يستطيع ان يتفق مع شيخ الكويت على تعيين موضع تنتهي اليه سكة حديد بغداد ، فلم يكن نصيب قنصل بغداد الا الفشل ، ورجع الى بغداد ، وليس معه الا خفّا حنين كما يقول المثل !

فلماذا فشل قنصل المانيا في مسعاه ؟

لقد فشل قنصل المانيا في بغداد لان الكويت دولة مستقلة لا تعترف للحكومة العثمانية بسلطة او سيادة ، ولو كانت غير ذلك ولو كان حكام الكويت من موظفين لدى ولاة البصرة او ولاة بغداد لما كان مشير بغداد بحاجة الى كتابة كتاب توصية يحمله قنصل المانيــا معه الى الكويت ، ولكان مشير بغداد أمر ، وحاكم الكويت امتثل ما دام تابعــاً له ، كما يدعي قاسم وابواقه .

وفي رفض الشيخ مبارك عبرة أخرى تؤكد تمسك الكويتيين بحريتهم واستقلالهم بعيداً من كل نفوذ اجنبي ، مهما كان لهذا النفوذ من غنائم واموال يستطيع ان يقدمها لهم . وهذا ما كانت سكة حديد بغــداد تستطيع ان تقدمه للكويت .

غير ان التمتع بالسيادة ، والحرص على الاستقلال ، أثمن من جميع المغريات ، واعظم قدسية من ان يكون المال سبباً في انتقاص الكرامة ، وثلم الاستقلال .

* * *

والذي حدث بعد ذلك بين الدولة العثمانية وبين الكويت ، بعد رفض الخط الحديدي الالماني ، يؤكد سيادة الكويت واستقلال سياستها .

فحين عاد القنصل الالماني خائباً الى بغداد ، لم ينسَ الاهانة ، ولا وقف مكتوف اليدين ، بل عمد الى وسائل اخرى متعددة لعله يستطيع تنفيذ مآربه .

ومن هذه الوسائل ، ان حكومته اخذت تحرض الحكومة العثمانية على احتلال الكويت ، واقتنع حكام بني عثمان ، وحاولوا بأكثر من وسيلة ان يسيطروا على هذه البلاد ، ولكن محاولاتهم جميعها ذهبت ادراج الرياح ، وعجزوا حتى عن الاستفادة من بعض الظروف الدولية لتقوية مركزهم .

وبعد هذا الفشل ، وذلك العجز ، رجع العثمانيون الى الطبيعة البدائية ، طبيعة الغاب والقوة ، فبدأوا يبحثون عن سبل للانتقام ، وكان الفشل نصيبهم مرة اخرى .

وهكذا كان ....

ففي تلك السنة وبعد حادثة القنصل الالماني مباشرة ، وعلى وجه التحديد في شعبان من سنة ١٣٢٠ من الهجرة ، امرت الحكومة العثمانية جنودها المقيمين في جنوب العراق في (استحكام الفاو) - ان يحطموا اسداد أفلاك الشيخ مبارك الصباح ففعل الجنود ذلك وفتحوا اربعين منفذاً فيها . وبعد هذا الاعتداء السافر احتج الشيخ مبارك لدى والي البصرة عبد الرحمن حسن بك وقال له :

« لولا وكلاؤنا الذين ما زلت اوصيهم بالهدوء امام هاتيك الحوادث لوقعت فتنة عمياء بين جندك والفلاحين ، ولقد اعتدى جندك على املاكي وتعدوا بما فعلوا الحدود ، فأنا اطالب الان بمجازاتهم ومعاقبتهم على ما

فعلوا وانذرهم ان لا يعيدوا الكرة ، فان لم تفعل فاني لست مسؤولا عما يقع من اضطراب وفتنة فيما بعد ... »

* * *

كثير من الردود ، تنهال على الخاطر كلما فكرت في دعـاوى قاسم العريضة ، وأحلامه الطويلة ، فهي ردود يزاحم بعضها بعضاً ، وكلها جدير بالذكر ، جدير بالاستشهاد ، جدير بالملاحظة .

ولكن من ابلغ هذه الردود ما فعلته الدولة العثمانية حـين رفضت تسجيل املاك الشيخ مبارك الصباح في البصرة باسمـه لأنه (لا عثمانية بيده) ! .

وهذا تفصيل القصة :

فقد كان الشيخ مبارك قد ابتاع من سعدون باشا زعيم المنتفك « بلكة » في البصرة ، وكـان ذلك في سنة ١٣٢٥ من الهجرة ، ودفـع الشيخ مبارك ثمن البلكة ومقداره ثمانية آلاف ليرة عثمانية ، ولـكن الحكومة العثمانية رفضت تسجيل الملك باسمه ، لأن الشيخ مبـارك (لا عثمانية بيـده) على حد تعبير السلطة العثمانيـة . وحاول والي البصرة آنذاك عبد الرحمن حسن بك ان يقنع الشيخ مبارك بحمل (العثمانية) أي الجنسية العثمانية لكي يتم التسجيل حسب الاصول المتبعة ، ولـكن الشيخ مبارك رفض ، وذهبت محاولات والي البصرة ادراج الرياح .

هذه وثيقة من وثائق التاريخ ، وهل التاريخ الا وثائق ووقائـع ؟!

ولكن عبد الكريم قاسم يتطاول على التاريخ ويزور احـداثه وسجلاته ، ويا ليته يتخلى ولو قليلا عن أشعبيته المكابرة ، ويسأل الثقاة من مؤرخي العراق الكبار ، وهو حافل بهم ، لكي يظهروا له باطل دعواه وزيف وثائقه ووهم أحلامه .

ولكن قاسم لن يفعل ذلك ، وهو يملك مثل هـذا العقل المضطرب الذي اوصدت دونه جميع ابواب التاريخ ونوافذه .

غير ان لنا نصيحة اخرى نزجيها الى سيادة الزعيم الاوحد ، فان الزمن لم يمض بعد على موسوليني وهتلر ، وله فيهما أسوة سيئة ! واذا كان العالم قد نسي نيرون المجنون ، فانه مـا يزال يذكر خليفتيه هتـلر وموسوليني ، ومـا يزال في مقدور قاسم ، ان يستمد العبرة من نهـاية هذين المهووسين ، قبل ان يكون القطار قد فاته ، وحينئذ لا ينفع الندم ، ولات ساعة مندم !

* * *

ومن التاريخ هذه الواقعة :

في ايام الشيخ جابر الاول بن عبدالله الصباح ، قدم الى الـكويت وفد انكليزي يحـاول اقناع شيخها بحمل الراية الانـكليزية ضد الدولة العثمانية ، فـلم يرض الشيخ بذلك وابى الانقيـاد الى مشيئة الانكليز قائلاً لهم :

« **ان الحكومة العثمانية جارتنا** ، وجل ما نحتاجه يأتينا من البصرة التي لها فيها الأمر والنهي » .

فقالوا وهم يعدون ويرغبون :

« ان الكويتيين محتاجون الى الهند ، وسفنهم تصل اليها » ، فما زاد الشيخ جابر على ان اعطاهم أذناً صماء .

وبذل الانكليز محاولتهم الاخيرة فاستأذنوا الشيخ في البناء في الكويت فلم يأذن لهم ، فسألوه قائلين :

« أو تسمح للعثمانيين بنزول بلدك والبناء فيها ، أم انك تمنعهم كما منعتنا ؟ » فقال :

« تمنعهم من ذلك ان كان فيه ضرر لنا ولبلدنا .. »

وهكذا انتهت هـــذه المحاورة التاريخة بين الكويت وبريطانيـــا وهي محاورة تثبت بالدليل القاطع سيادة الكويت واستقلالها عن الدولة العثمانية .

والا ، فهل يمكن لأحد رعاياها ، ان يقول (نمنعها من البنـــاء ان كان فيه ضرر لنا ولبلدنا ..) ؟

وارجو ان ينتبه القاريء الى هـــذا النص : (ان الحكومة العثمانيـــة جارتنا) ، فالشيخ جابر لم يقل ان الحكومة العثمانية (حكومتنا) بل قال انها (جارتنا) .

فهل بمثل هذه الحقائق يدعم قاسم افتراءاته ؟

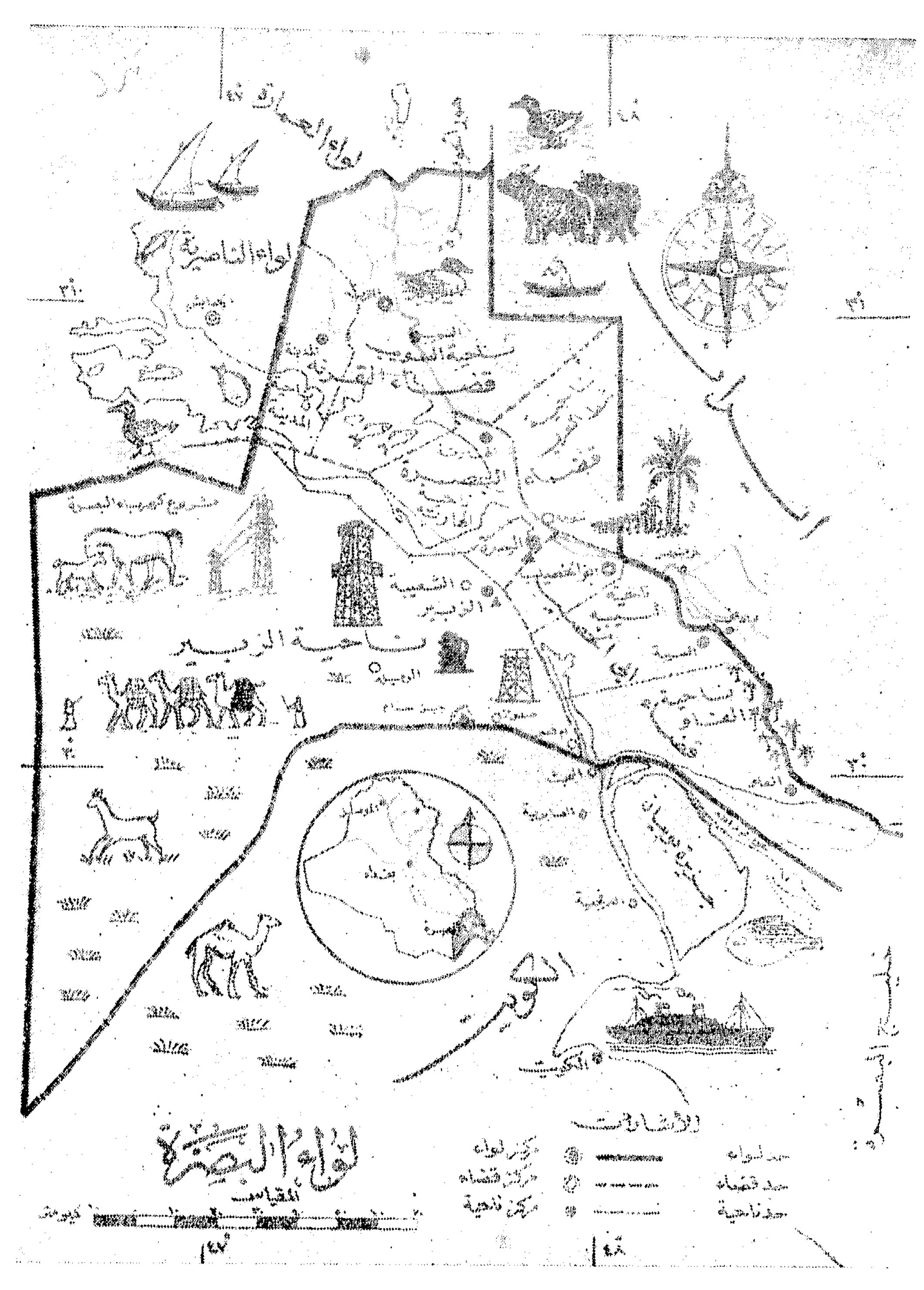
وليت شعري .. وليت شعر عبد الكريم قاسم ايضاً لمَ لم تعزل الحكومة العثمانية الشيخ جابر الاول وتعين بدلا منه (قائمقامـــاً) آخر كما يريد الزعيم الأوحد ان يفعل ؟

وبعد ..

فاذا كان الجنون بكل فنونه ، قد اصاب عبد الكريم قاسم ، ودفعه دفعاً الى مثل هذا الهذيان ، فليس لنا ، نحن الذين انعم الله علينا بنعمة العقل ، إلا ان ندعو الله مخلصين ، ان يشفي حاكم بغداد من جنونه ، وان يعيـــد اليه عقله ، لعله يعي ما اقترفت يداه ، ولعـــله يصلح من اخطائه ، فيصمت ، ويلجم لسانـــه ، ورحم الله امرءاً عرف نفسه ،

اللهم ، آمين .

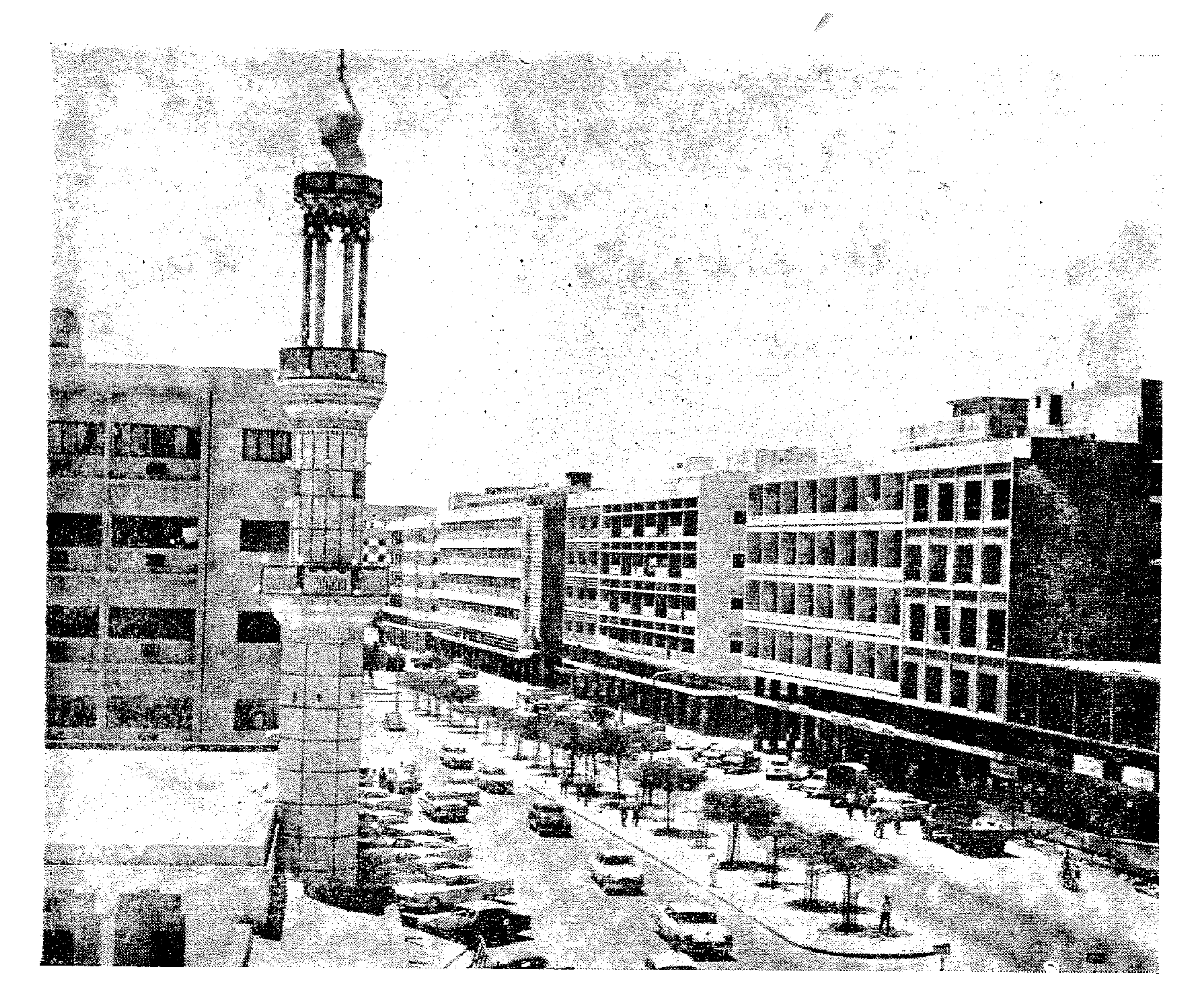




خريطة لواء البصرة كما وردت في كتاب يدرس في المدارس العراقية



حديقة عامة



شارع فهد السالم وهو من الشوارع التجارية في الكويت

- ٦ -

ومن معاد القول ، ان نؤكد هنا مرة أخرى ، ان كل ما ورد في التاريخ القديم والحديث عن الكويت وعن رجالها ، وعن كل من كانت له صلة أو شبه بالكويت ، كل اولئك يؤكد ان الكويت دولة حرة مستقلة منذ ان ظهرت الى الوجود حتى الآن .

ان هذا من معاد القول ، ولكن هلوسة الزعيم عبد الكريم قاسم ، واصرار ابواقه على الادعاء وتزييف الوقائع والحقائق ، يدفعاننا الى الإكثار من الاستشهاد بالأدلة التاريخية لتفنيد دعاواهم ، ودحض افتراء الحاكم المهووس الذي سجن نفسه في وزارة الدفاع ببغداد ، ومن هناك ساق قوافل التحرير ، على الخرائط فقط ، لتحرير كل بلد شاء سوء حظه ان يخطر في بال عبد الكريم قاسم !

ومن وقائع التاريخ الحديث هذا الدليل :

فمنذ ان اعلن رسمياً استقلال الكويت عن الحماية البريطانية ، سارعت الدول العربية أولاً ، ثم الأجنبية ، الى الاعتراف بهذا الاستقلال ، واحدة بعد الأخرى ، بالرغم من ان الكويت ليس لها سفارات او ممثليات في هذه الدول ، وبالرغم من ان الدعاوة للكويت تكاد تكون في حكم النادر أو المعدوم

وباء بالفشل الذريع ، كل ما حاولت ان تفعـــله سفارات قاسم
عواصم هذه الدول بغية الحيلولة دون اعترافها ولم يستطع قاسم ، و
سفاراته ، ولا زبانيته ان يقنع دولة واحدة ، بتسخير ضمائر حكامها
ومجاراته في ضلاله ، لسبب بسيط جداً ، هو ان هـــذه الدول تحترم
نفسها ، وتأبى ان تتخلى عن سيادتهـــا ، ليتصرف الحمقى والمجانين
شؤونها الخاصة . ولأن الضمير العالمي يقظ منيع أمـــام غوغائية الد-
والشعوذة ، فلم يعد من الممكن حجب قضية الكويت وطمس استقلاله
بنزوات متهوّرة ، فلم يعد في مسرح التاريخ اليوم ، مكان لأمثال نيرو
وهتلر ، ولا حتى لأمثال عبد الكريم قاسم !.

وأصبح استقلال الكويت صريحاً واضحاً وضوح اشعة الشمس ، و
قاسم يشكو ويحتج ، ومثل جميع حججه عن الكويت ، متهافتة بالية
وسرعان ما انهارت امام منطق التاريخ وحقائق الواقع .

فقد رددت اذاعته ان الاستعمار يتحفز من الكويت ليطبق على العر
ويحرم شعب العراق حريته واستقلاله ، ولكن قاسم نسي ان في الكو
حكومة عربية اصيلة ، تأبى ان تمسّ سيادة اي شبر من ارض الو
العربي الكبـــير ، سواء أكان في العراق ، أم كان في اقصى المغر
العربي .

وليس هذا ادعاءً ، ولا رمياً بالكلام على عواهنه ، بل إنه حق
إنسانية عربية ، أكد صحتهـــا واقع التاريخ الحديث ، ولا سيما اثنـ
العدوان الثلاثي على الشقيقة مصر (الجمهورية العربية المتحدة) سنة ٩٥٦
ومـــا أشك في ان قاسم يذكر كيف كانت عواطف شعب الكويت

خلال معركة السويس في حين كان هو وأمثاله يرضخون صاغرين لمشيئة حكام العراق .

وليطمئن قاسم ، وليقرّ بالاً ، وليطمئن زبانيتـــه ، وليقروا ، فلن تصدق الشعوب ولا الافراد ، دعاوى قاسم وهلوساته ، ولن ينخـــدعوا بأية محاولة لاستدرار عطف السذج من الناس ، فلن تكون تلك المحاولات اكثر من دموع تماسيح ، لا مبرر لها إلا اصطناع الغيرة على الوطن ، وافتعال الحرص على الشعوب العربية وحريتها واستقلالها

فان القوات البريطانيـــة التي كانت قد جاءت لنجدة الكويت نجدة سريعة في حال تعرضه للعدوان ، قد انسحبت الى قواعدها ، ولم يبق الا اشقاء عرب جاءوا لنجـــدة اخوانهم ولمع الدم العربي ان يهدر في سبيل نزوات هوج ، لرجل مهووس ، وحتى هؤلاء الاشقاء العرب ، انسحبوا من الكويت ، بعـــد ان طلب سمو حاكم الكويت ذلك ، ولم تبق منهم الا قوة رمزية لا يزيد عدد افرادها على ثلاثمائة جندي فقط ، انها قوة « رمزية » ، لا غاية لها ، الا افهام قاسم ان الكويت دولة مستقلة ذات سيادة وان العرب لن يسمحوا بانتهاك حرمـــة هذه السيادة وذلك الاستقلال ، مهما كان السبب ، ومهما كانت الظروف .

* * *

ولكن اذاعة قاسم ، ما تنفك تعيد اغنيتهـــا المفضلة ، مدعية ان الكويت « قضاء » عراقي سليب .

ولنناقش هنا قضية (السلب) هذه ، ونقلبها على جميع أوجهها ،

ولنبدأ هذه المناقشة بهذا السؤال :

من هو (سالب) الكويت ؟

ان تكن بريطانيا (سالبة) الكويت ، فان بريطانيـــا قد رحلت ، وقد غاب وجودها عن الكويت .

وان يكن الكويتيون هم الذين سلبوا الكويت ، فان هـــذا أغرب مفهوم للسلب ، اذ كيف يسلب شعب من الشعوب أرضــه ، وليتفضل اصحاب هـــذا الادعاء ، مشكورين ، فيدلونا على مالك سابق للكويت غير سكانها الحاليين ؟ وليتفضل اصحاب هذه الدعوى فيقرأوا التاريخ ، وليأخذوا منه العبرة والتعيين ، وان كانوا من الذين لا يقتنعون بجدوى دراسة التاريخ ، ولا يستفيدون من عظاتــه وعبره ، فنحن نريدهم ان يقرأوا التاريخ لا ليستفيدوا من عبره ، فهـــذا شأنهم وحدهم ، ولكننا نريدهم ان يصححوا اخطاءهم التاريخية وان يوسعوا من آفاق معرفتهم ، لعل التاريخ يمنحهم ثقافة اعمق وارسخ ، ولعلهم يرعوون ، فلا يدّعون على التاريخ ، ولا يزورون وقائعه واحداثه .

واننا لنريدهم ايضاً ، ان يحسنوا استعمال الكلمات في معانيها المعروفة ومدلولاتها المحددة .

فالسلب ، في العرف الانساني ، هو ان يسطو احدهم على ممتلكات الآخرين فيأخذها لنفسه ، وليس (سلباً) ان يكون الانسان مواطناً في بيته وبين اهله ، وممارســاً لحقه في ارث اجداده ! . وان كان الكويت (سليباً) حقاً . فما هي الواقعة التاريخية التي اغتصب فيها الكويت ، ومتى كان ذلك ، وكيف ؟ ومن كان المالك الأول قبل أهل الكويت ؟

وكيف كان دفاعه وتضحياته للابقاء على ملكه ، اذ لا يعقل ، حتى في عرف عبد الكريم قاسم ، ان يتخلى مالك عن ملكه دون مقاومـــة او احتجاج او حتى صراخ واستغاثة .

ولماذا انبثقت قصة (القضاء السليب) فجأة في عهـــد عبد الكريم قاسم ، ولم يقل بها نوري السعيد مثلاً ، والمعروف عنه انه كان يطمع في الكويت ، مثل طمع صفيّه وموضع ثقتـــه الزعيم الركن عبد الكريم قاسم آمر اللواء التاسع عشر !. وحاكم العراق ورئيس وزرائه بعد ١٤ تموز ١٩٥٨ ؟!

* * *

واما الدولة العثمانية ، فلم تكن الكويت جزءاً من اراضيها ، بل كانت غريبة عنها عدوة لها ، وذلك واضح من مواقف العثمانيين من الكويت ومعاملتهم لها ، فلقد كانت تؤلب عليها القبائل وتزودها بالمال والذخيرة لغزو الكويت ، كما فعلت مع ابن الرشيـــد ، الذي سيأتي الحديث عنه في موضع آخر من هذا الكتاب .

* * *

وفي العراق رجل مسؤول ، هو هاشم جواد وزير الخارجية ، ولهذا الرجل مواقف جد غريبة .

فلقد أشاع هذا الوزير في مجالسه الخاصة ، وبين اصحابه ، انه لم

يكن على علم بما ينوي ان يصرّح به عبد الكريم قاسم عن الكويت ، وانه غير متفق معه في هذا الموضوع ، وهذا ما تتحدث به الاوساط الخاصة وغير الخاصة في بغداد وفي غير بغداد ، بل لقد اشاع ، او اشيع عنه ، انه قدم استقالته احتجاجاً !. ولكن هذا الرجل ، يشدّ الرحال الى هيئة الامم المتحدة ، ويقف خطيباً او مصرحاً فيناقض نفسه بنفسه ، او لعله يخدع نفسه حين يرضى ان يكون صوتاً لسيده في بغداد ، يأمره فيأتمر ، ويوحي اليه فيتمثل ، فيخرج على العالم بأراجيف قاسم وتهويشه ويرضى لنفسه ، وهو الدبلوماسي الخبير ، ان يمثل هذا الدور الفاشل على مسرح هيئة الامم ، وان يصل به الأمر الى حد الخوف من ان يقول لقاسم : لقد اخطأت ، في حق الكويت ! ونحن لا نطالب هاشم جواد بتزييف الحقائق ولا بالتجني على التاريخ ولكننا نطالبه ان يكون (وزير خارجية) حقاً ، فيحافظ على رزانته . ويقيس أقواله وتصريحاته بمقاييس الحكمة والعقل والمنطق فليس لأي وزير خارجية ، مهما كان ، ان يرمي الكلام على عواهنه ، او ان يهرف بما لا يعرف !.

ولكن هاشم جواد ، كانت له ، مثل سيده ، دعاوى وافتراءات ، ومن جملة هذه الدعاوى ، ومما يضحك الثكلى قوله « ان الكويت بلد متأخر » ! وليس لنا من جواب على هذا الادعاء ، الا ان نضع أمام أعين هاشم جواد وامثاله ، بعض التقارير عن تقدم الكويت واعماره لعلّهم يتعظون ، او لعلهم يعملون على رفع مستوى بلادهم الى مثل مستوى الكويت ، بل حتى الى مستوى قريب من مستوى الكويت ، بدلاً من ان يعملوا على ابقاء الشعب العراقي الحبيب في مستواه الاقتصادي المنخفض ، وتحت رحمة الجهل والمرض .

في الكويت ، يا سيدي وزير خارجية العراق اكثر من ١٥٠ مدرسة و٤٠ مستشفى ومستوصفاً ، والتعليم والعلاج مهيأ للجميع مجاناً .

واليك يا سيدي الوزير مفاجأة اخرى ، ارجو ان لا تحملك واسيادك على زيادة الحقد ، فان وزارة التربيـــة في الكويت تعد العدة لافتتاح جامعة الكويت في مطلع عام ١٩٦٤ .

فهل تكون الكويت متأخرة ، وفيها مثل هذا التقدم ؟

واذا ما قورن العراق الشقيق بالكويت ، فهل تكون الكويت متأخرة وهي تبني جامعة في بلد لا يزيد عدد سكانه على ثلاثمائة الف نسمة ؟. وأين (جامعات العراق) وسكانه يربو عددهم على سبعة ملايين نسمة ؟!

لم يستطع هاشم جواد الا ان يردد دعاوى سيـــده قاسم ، ولست أظن قاسم نفسه بجاهل حقيقة هذه النهضة الكبرى التي تعم الكويت ، واذا كان يجهل ذلك ، فليس لي ألا ان اردد مع الشاعر العربي القديم :

اذا كنت لا تدري فتلك مصيبـــةٌ

وان كنت تدري فالمصيبة اعظم ..

ولكن ، اذا كان قاسم يدري ، او لا يدري ، فتلك هي مصيبتـــه وحده ، واما نحن الكويتيين ، فيكفينا ان الرأي العـــام العالمي ، يدري بنهضتنا ويدري ان قاسم ، لن يكون إلا احد اثنـــين : جاهل جهلاً مطبقاً ، او متجاهل لغاية في نفس يعقوب !.

* * *

ومع هـــذا ، فاني أحيل اللواء عبد الكريم قاسم ، ان كان يرغب في زيادة معلوماته ، الى احد اركان حكومته وزير ارشاده السابق ، وسفيره الحالي الدكتور فيصل السامر .

فقبل الثورة العراقية ، لجأ الدكتور فيصل السامر الى الكويت هربـــاً من حكام العراق ، وعمل مدرساً في المدرسة الثانوية في الكويت ، وهو استاذ للتاريخ ، ومن طبيعة الاشياء ان يكون استاذ التاريخ ملماً ، وعلى علم تام بكل مـــا كان يجري في الكويت لرفع مستوى الشعب ثقافيـــاً وصحياً ، وما اظن هذا الانسان المثقف الواعي ، والمؤرخ الممحّص ، يستطيـــع ان ينفي جهود الكويت ، لإلحاق بلادهـــا بركب الحضارة الحديثة .

ولو كان لقاسم اي انسجام مع اعضاء وزارته ، ولو كان وزراؤه وزراء حقـــاً ، لا كتاب ضبط ، لكان سأل وزير الارشاد عن تطور الكويت وتقدمه ، ولكان الوزير قـــد بسط له الحقائق والوقائع ، وإني لعلى ثقة كبيرة بان الوزير ، حين يتجرد من الغـــايات والاهواء الصفراء والحمراء ، يستطيع ان يقنع قاسم باخطائه ، وان يطلعه على ما حققتـــه النهضة الكويتية من انجازات ضخمة في زمن قصير جداً .

ولكن مشكلة العراق ، ان لا عبد الكريم قاسم منسجم مع وزرائه ، معتمد على مشورتهم ورأيهم ، ولا وزراء قاسم وزراء حقاً .

اما ابواق قاسم فاننا نحيلها الى تلاميذ الكليات العراقية الذين زاروا الكويت مؤخراً ، فانهم يستطيعون ان يسألوهم عن مدى اعجابهم وتقديرهم للنهضة الكويتية العظيمة .

ماذا أقول ، بل ان قسماً من هؤلاء الطــلاب تمنّوا ، حين زاروا المطبخ المركزي ، لو ان في العراق مثل نصف هذا المطبخ الذي يمــد جميع مدارس الكويت بالغذاء الكامل ! كما تمنوا ، لو ان حكومة العراق تعنى ، ولو عناية جزئية ، بالنظام والتغذية والبناء ، كما هي الحــال في مدارس حكومة الكويت !.

اما المستشفيات ، فكانت مفاجأة لهم ، بتجهيزهــا الحديث الممتاز ، وبنائها الصحي الجميل ، وعلاجها المجاني الموفر للجميع .

كل هذا شاهده الطلبة العراقيون ، وتمنوه او جزءاً منــه لبلادهم ، فلماذا لا يشغل قاسم ، ومن وراءه ، انفسهم بتحقيق امنيات ابناء الشعب في الرخاء والرفاه ، بدلاً من إشغــال انفسهم بأمور باطــلة لا طائل وراءها إلا البلبلة ، والاضطراب ، والعدوان على حقوق الآخرين .

* * *

وسوف استعير الآن لغة الأرقام ، لأوضح بعض النسب البيانية للنهضة الانشائية الحديثة في الكويت ، ولأبدأ بالمستشفيات منذ سنة ١٩٤٩ :

السنـة	الانجازات
١٩٤٩	المستشفى الاميري ، ومستشفى الامراض العصبية والنفسية القديم بالمقوع الشرقي .
١٩٥٠	النواة الأولى للصحة الوقائيــة ، والأشعة والمختــبرات . قسم العيون بالأميري .

١٩٥١ المحجر الصحي ، البيطرة ، الصحة المدرسية .

١٩٥٢ المصح الداخلي (للامراض الصدرية) . زيادة عدد المستشفيات .

١٩٥٣ مصح النساء (للامراض الصدرية) ، قسم الاسنان .

١٩٥٤ ملحق المستشفى الأميري ، مستشفى الامراض السارية .

١٩٥٥ زيادة عدد المستوصفات ، تعميم الخدمات الصحيـة الوقائية . انشاء مراكز رعاية الأمومة والطفولة ، انشاء مراكز مكافحة السل ، دار الايتام .

١٩٥٦ نواة الصحة الاجتماعية ، توسيع ادارة الصحة المدرسية ، توسيع ادارة الصحة الاجتماعية ، عيادة الامراض التناسلية ، مراكز مكافحة السلّ ، المعهد الصحي ، فحص الاشعة الجموعي .

١٩٥٨ مركز فحص المقدمين على الزواج ، مستشفى الجذام ، المعهد الوقائي للاطفال ، مدرسة مساعدات الممرضـات ، مستشفى الامراض العصبية والنفسية بالشويخ .

١٩٥٩ زيادة المستوصفات وتعميمها ، افتتاح مصح الكويت ، اعادة افتتاح المعهـد الصحي ، مصح المقوع ، الارشاد والتثقيف الصحي ، العلاج الطبيعي ، القوانين الصحية .

١٩٦١ مستشفى الولادة الحديث ، بنك الدم ، مستشفى الصباح وهو مفخرة مستشفيـات الشرق الاوسط حجماً وبنـاءً وتجهيزاً واعداداً .

١٩٦٢ مستشفى الامراض الصدرية وهو يتسع لثلاثمائة وخمسين سريراً.
مستشفى مبارك الكبير في الطريق الدائري الرابع ، المستوصف المركزي بالروضة ، مستوصف المجمع للاخصائيين ، مستوصف الفحيحيل ، دار الايتام ، مستوصف الامراض الصدرية للنساء ، مستشفى الامراض السارية ، المحجر الصحي للحجاج ، ملحق مستشفى الامراض العصبية . المستودعات المركزية للادوية في وزارة الصحة العامة .

اما تجهيزات هذه المستشفيات وابنيتها فالصورة المنشورة في هذا الكتاب توضح تقدم الكويت ونهضتها في هذا المضمار .

وحسبنا ان نذكر هنا ، ان اخر احصاء للعاملين في هذه المستشفيات حتى نهاية سنة ١٩٦١ كان كما يلي :-

- ٢٥٠ طبيباً (في التطبيب العام)
- ٢٥ طبيب اسنان
- ٨ اطباء بيطرة

و

- ٣٤ صيدلياً
- ١٠١ مساعد صيدلي

و

- ٥٣٠ ممرضة
- ٢٦٧ مساعدة ممرضة
- ٦٢٥ مضمداً .

ويكفي ان نشير الى (معاهد التربية الخاصة في الكويت ليدرك غير الكويتيين المدى الذي وصلنا اليه من الرقي والتقدم والعناية بالانسان عقلا وجسماً ، ومن هذه المعاهد :

- معهد النور للمكفوفين
- معهد الامل للصم والبكم
- معهد التربية للطلبه المتأخرين دراسياً .

ان معاهد البنين منفصلة عن معاهـد البنات ، وقـد خصص للطلبة المقيمين في القرى سكن خاص ، كما خصص للطالبـات سكن اخر . وتقوم ادارة المعاهد بنقل هؤلاء الطلاب والطالبات الى منازلهم في القرى بعد ظهر الخميس من كل اسبوع وتعيدهم مساء الجمعة .

ولقد انشأ مجلس المعارف سنة ١٩٦٠ مجمعاً يضم هذه المعاهد كافة ، كما خصص اجنحة خاصة تحتوي على (ورش) مختلفة لاعمال الخيزران والنجارة والنسيج والسجاد والجلود والحفر على الخشب وغير ذلك .

وهكذا يُعدّ الطلاب في الكويت اعداداً مهنياً اضافة الى الاعـداد الثقافي وبذلك تكون الكويت قـد سبقت بلاد الشرق الاوسط كافة في التخفيف عن هؤلاء المصابين وتأهيلهم لحياة طيبة معقولة .

فهل بعد كل هذا ، يستطيع احد ان ينسب الى الكويت التـأخر الثقافي او الصحي ؟

* * *

أو لا يزال قاسم مصمماً على الاستناد الى حججه الواهيـة في دعم

مطالباته بالضم والالحاق والجمع ؟ .

ولقد كان الحكم العثماني قد امتد فشمل جُلّ بلاد العرب ، فكان شرقي الاردن تابعاً لولاية الشام ، وكانت نابلس وعكا ، في فلسطين ، تابعتين لولاية صيدا في لبنان ، فلماذا لم تطالب دولة لبنان بنابلس وعكا ، ولم تدع دولة سوريا ان شرقي الاردن قضاؤها السليب ؟

ولو فرضنا جدلا ان حاكم الكويت كان حقاً قائمقاماً تركياً يطيع اوامر الحكومة العثمانية فهل يستطيع مؤرخ ان يدلنا على رجل استطاع ان يظل في مركزه قائمقاماً طوال عمره ؟. أهي وظيفة وراثية في عرف التاريخ وفي مفهوم المؤرخين ؟ ولنقلب ، بل لننقب في اسفار التاريخ لعله يذكر لنا ، ولو مرة واحدة ، ان هناك في بطون التاريخ ، قائمقاماً ابن قائمقام او اخاً لقائمقام . كما هي الحال في الكويت ؟

أهناك وظيفة ثانوية او فرعية في دولة من الدول يمكن لصاحبها ان يحتفظ بها محصورة فيه وفي ذريته لمدة طويلة ؟.

أم ان رئاسة القبيلة ثم زعامة الدولة هي الوظيفة الوحيدة التي يجوز ان تكون وراثية ، لأن صاحبها له حريته التي لا يتخلى عنها ، ولا إرادة لانسان فوقها ؟

* * *

وجرياً على منطق قاسم (العثماني) الغريب عن اي منطق عربي او قومي ، واذا كانت (العثمانية) حجة قاسم الوحيدة التي يعتمدها لكي

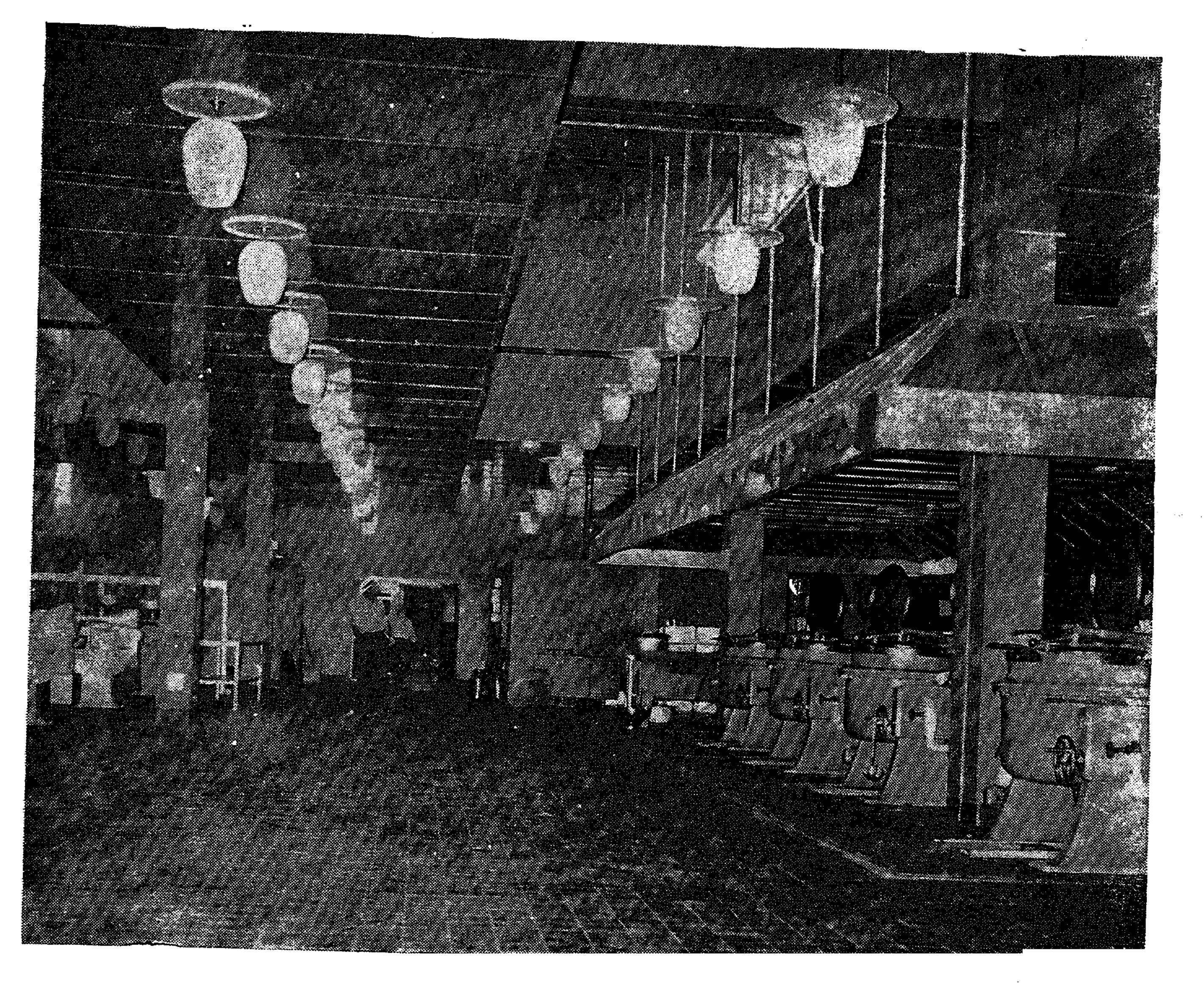
يبرر ابتلاع الكويت وانتهاب ثرواتها ، فان للقارىء الحق في ان يسأل سيادة الزعيم الاوحد هذا السؤال :

بأية صفة كانت الدولة العثمانية تحكم البلاد العربية ؟ ولم لا تعـود تركيا الان فتطالب بحقها في البلاد العربيـة وهي التي حكمت قروناً ، تولي من تشاء ، وتعزل من تشاء .

لم لا تطالب تركيا بالعراق مثلاً ؟ وماذا يكون موقف قاسم آنذاك ان حاولت جارته تركيا ان تورد حججها وأدلتها التي لن تختلف عن حجج قاسم وادلته ، حين يطالب بالكويت ؟ .

ان كانت هذه الملهاة التي يمثلها الساسة الذين نبذهم الشعب ، قـد استطاعت ان تملأ فراغ وجودهم ، وان تخدع بعض السذج من الناس ، وان تستقطب حولها مجموعة من الحواة الذين يرقصون على مائدة العراق، ويمارسون ألعابهم البهـلوانية ، فان هذه السياسة الخرقاء لن تلبث ان تنكشف ، ان لم تكن قد انكشفت فعلاً حين فضح شعب العراق هذه اللعبة التي طالت اكثر مما ينبغي ، ولسوف يأتي وشيكاً اليوم الذي ينبذ فيه شعب العراق العربي كل مشعوذ دجال كان من سوء حظ البلد ان يتولى مقاليد أموره في غفلة من الزمن .

وحكم التاريخ حكم جازم قاطع لا مراجعة فيه !

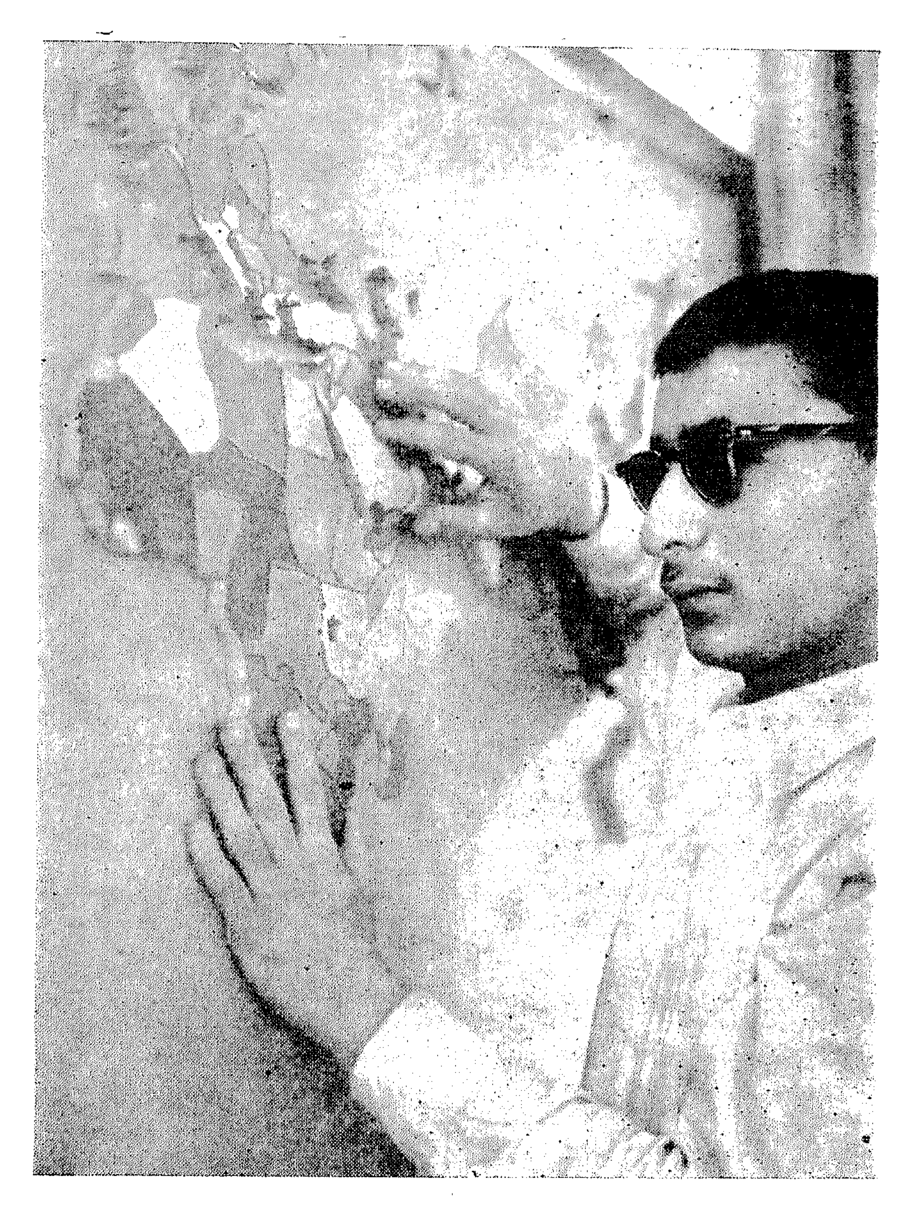


المطبخ المركزي وتدار جميع آلاته بالكهرباء

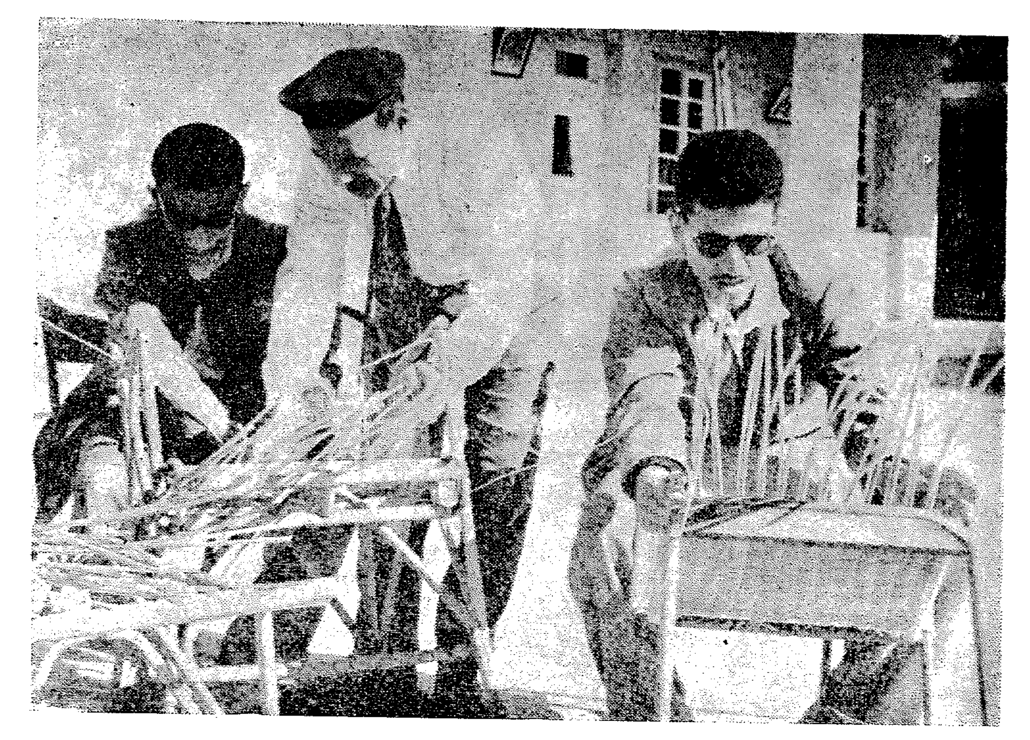


فتيات يتلقين دروسا في التمريض

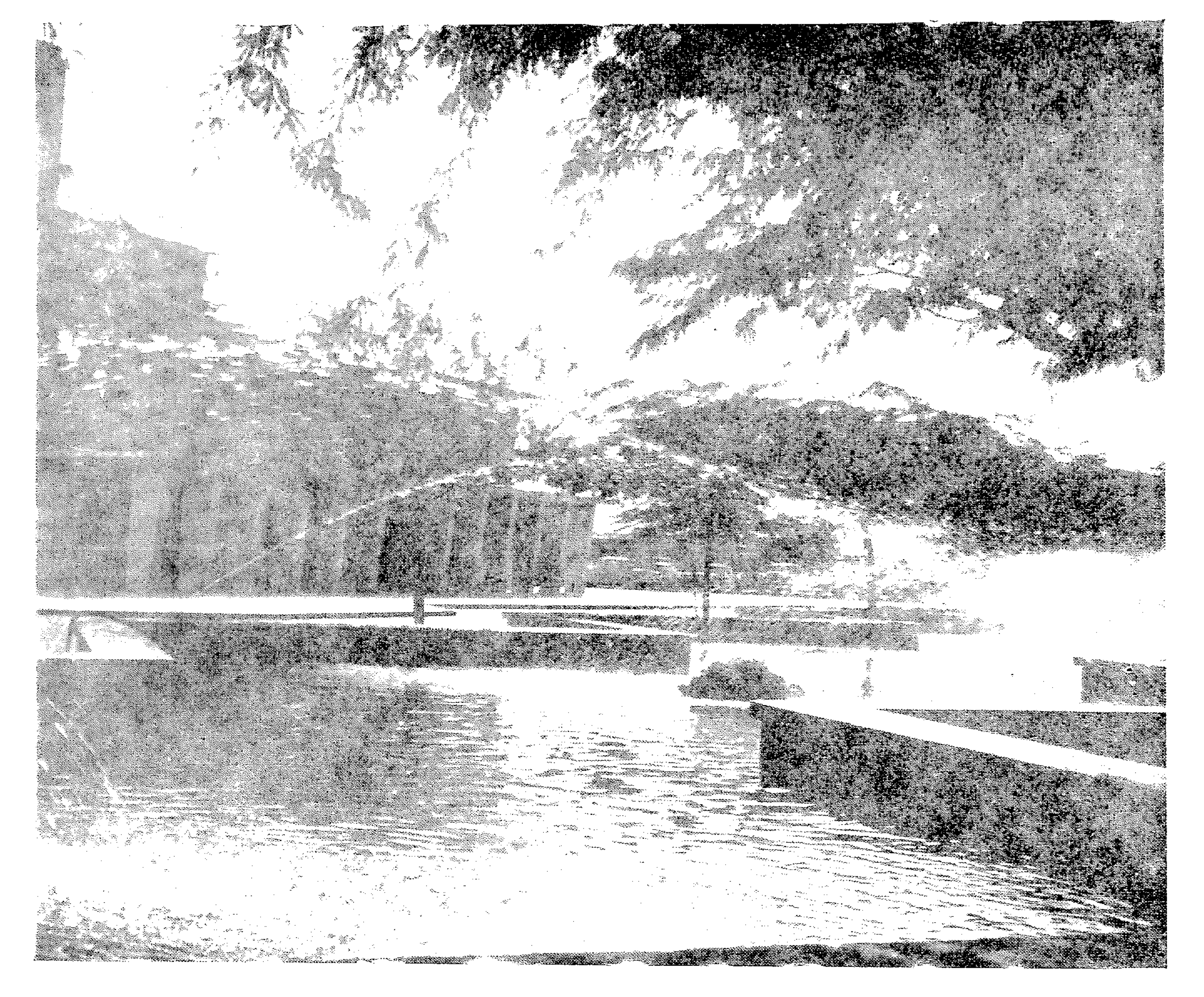
طالبات يعملن وظائفهن



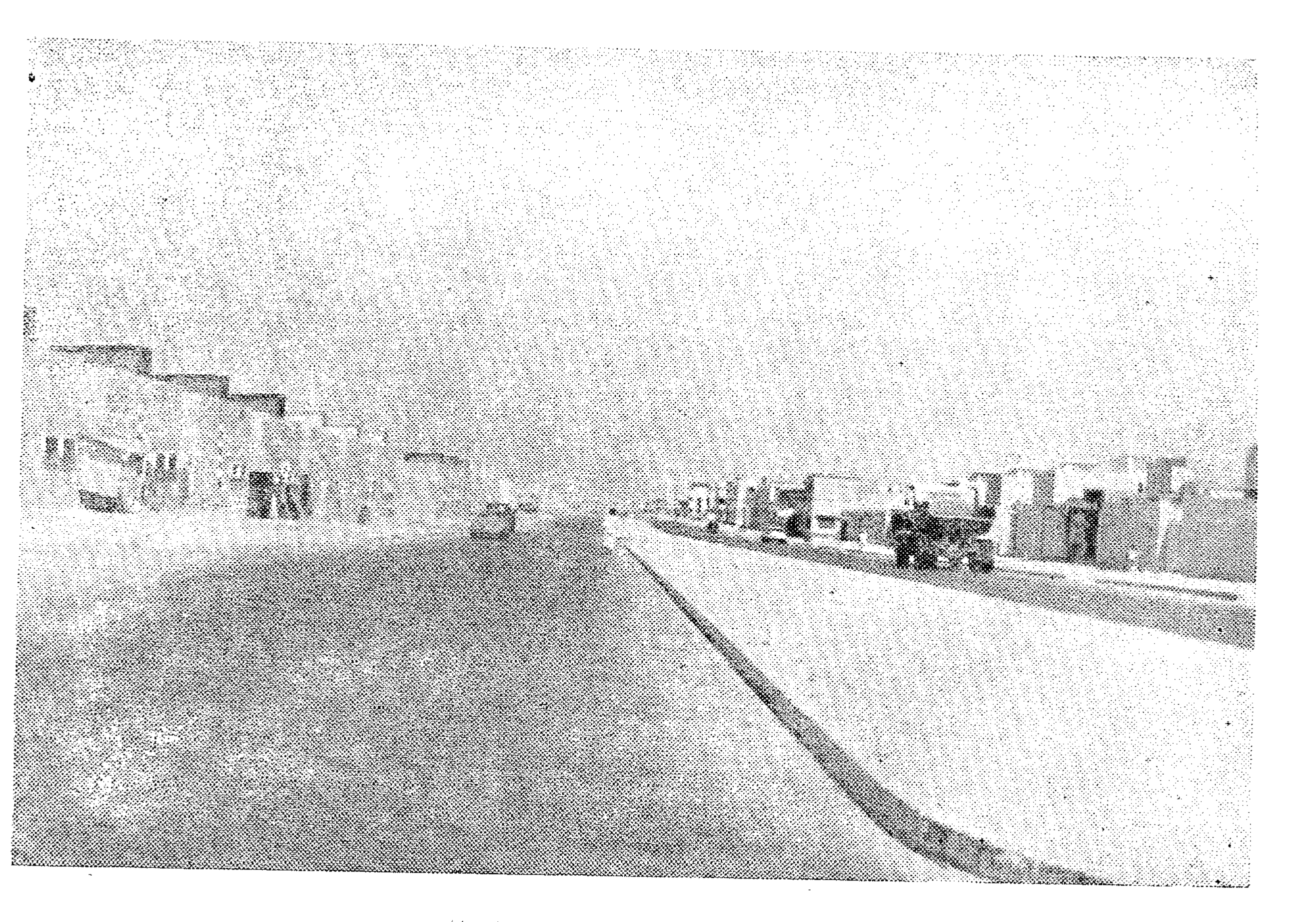
طالب في مدرسة مكفوفي البصر



طلاب من طلبة معهد النور لمكفوفي البصر يمارسون أعمال الخيزران



حديقة في محطة تقطير المياه



منظر لمقاطعة سكنى ذوي الدخل المحدود

— ٧ —

اشرنا من قبل اشارة عابرة الى قصة ابن الرشيد ، وأجلنا الاستفاضة في سردها لكي لا نقطع سياق الحديث .

ولكن من حق القارىء العربي الان ان يطلع على هذه القصة ، وان يعرف كيف كانت الدولة العثمانية تحرض عملاءها على غزو الكويت او التحرش بها ، وحسبنا ذلك دليلاً على منعة الكويت وسيادتها امام كل تدخل اجنبي ، حتى ولو كان عثمانياً !

وردت هذه القصة في (تاريخ المملكة العربيـــة السعودية) للاستاذ صلاح الدين المختار ، وفي الصفحة الخامسة والعشرين من الجزء الثاني من ذلك الكتاب .

وخلاصتها ان السلطان العثماني عبد الحميد اراد ان يستعين بابن الرشيد على الكويت وشيوخها ، وكانت لابن الرشيد صلات ود ومصلحة مع الباب العالي ، ومن باب الود والمصلحة دخل الباب العالي الى اطماع ابن الرشيد ، فأخبره ان الحكومة العثمانية لا تمانع ان يستولي ابن الرشيد على الكويت ويضمها الى مملكته ما دام ابن الرشيد وآله من اتبـــاع الدولة

العثمانية المخلصين . وكان هذا كافياً لأن يستقبل ابن الرشيد بادرة العثمانيين هذه بسرور لا يوصف ، وان يشحذ انياب طمعه للاستحواذ على الميناء الكويتي ، والدعامة المكينة لدوام هذا الملك الرحب في حوزة آل الرشيد .

وبدأ عبد العزيز بن الرشيد يعد العدة ، ويرسم الخطـة لهجوم كبير على الكويت ليثبت اقدامـه ، ان انتصر ، على مشارف البحر ويسيطر على الخليج ، ويقوي من مكانته ويعلي من شأنه ، ولكن الرياح لا تجري دائماً ، بما تشتهي السفن ، كما يقول الشاعر العربي القديم ، وهكذا كان .

ففي سنة ١٩٠٠ من الميلاد حشد ابن الرشيد قواته من عشائر شمر ، وهي عشائر حرب وقتال ، وتوجه بها الى امـاكن معينة بقصد غزو الـكويت ، وأدرك الشيخ مبـارك الصباح انه اصبح مـا بين أمرين لا ثالث لهما :

فاما حياةٌ لشرّ الصديق وامّا مماتاً يُغيظ العدى

واختار الحياة ، والكرامة ، وانتهى هذا الحشد الكبير الموجـه الى الكويت نهايته المعلومة في وقعة (الصريف) وباءت كل مشاريع الرشيد واحلامه ، وانتهى وهمه الكبير في السيطرة على الكويت والخليج ، وارتد كيد العثمانيين الى نحورهم ، وقد ورد ذكر كل ذلك مفصلا في الصفحة الخامسة والثلاثين بعد المائة وما بعدها من كتاب (تاريخ الكويت) تأليف عبد العزيز احمد الرشيد .

ليت شعري ، ألا يكفي هذا بياناً وتوضيحاً لموقف الحكومة العثمانية من الكويت ، وهي تحرض ابن الرشيد وتعضده لكي يهاجم هذه البلاد الآمنة الرابضة على مشارف الخليج ؟.

واذا كانت الكويت تابعة للنفوذ العثماني حقاً فكيف يقف العثمانيون هذا الموقف منها ، وكيف يرضون ان تسلخ من امبراطوريتهم وتعطى الى شيخ عشائر شمر !؟

* * *

وقد تكون الكويت رفعت العلم العثماني فترة قصيرة من الزمن وفي ظروف خاصة ، ولكنها لم تكن في ذلك تابعة للعراق ، الذي رفع العلم العثماني طوال الفترة المظلمة التي حكم فيها العثمانيون البلاد العربية ، ولم تفعل الكويت ذلك ، وهذا ما أيده التاريخ .

ولو فرضنا جدلاً ان هناك مجالاً للمطالبة بالكويت على اساس هذا الافتراض (التبعية للدولة العثمانية) ، فان هذا المجال لن يكون مجال العراق بل مجال الدولة العثمانية أو الجمهورية التركية الآن ، فهي وحدها ، اذا سلّمنا بهذا الافتراض على سبيل الجدل والمثال ، هي وحدها من يستطيع الادعاء بحق مبخوس في العراق وفي غير العراق من البلدان العربية .

وليتساءل قاسم بعد ذلك ، وليخمن ، ماذا يكون موقفه في هيئة الأمم ؟!

واذا كان قاسم لا يزال يحلم ان يحكم الكويت ، فاننا لنريده ان يعلم ان الكويت ، في جميع مراحل تاريخها ، لم يحكمها حاكم من غير أهل الكويت ، ولم تتدخل الدولة العثمانية طيلة ايامها ، في اختيار « قائمقام »

قاسم المزعوم ، ليحكم شعب الكويت ، هذا « القائمقام » الغريب الذي اخترعته مخيلة قاسم في ساعة من ساعات جنونه المتواصلة .

* * .

ويحدثنا التاريخ مرة أخرى ، على لسان مؤلف « تاريخ المملكة العربية السعودية » في الصفحة الرابعة والثلاثين وما بعدهـــا ان ابن الرشيد حين علم بوجود خصمه الأمير عبد العزيز آل السعود في الكويت ، قام بمهاجمة اطرافها وأغار على خليط من العربان اسمهم (عريبدار) وسلبهم وعاد الى دياره مظهراً لا مبالاته بما يعرفه من اخبـــار عبد العزيز آل السعود الذي لم تستطع يد ابن الرشيد ان تطاله في الكويت .

وللدلالة على الحرية والحفاظ عليهـــا وعلى عروبة الكويت وكرامـــة الأمة العربية ، نورد من الكتاب نفسه هذه القصة الواردة في الصفحة السبعين وما بعدها :

فبعد انتصار ابن السعود على ابن الرشيد ، سعت الحكومة البريطانية الى عقد معاهدة معه ، وعلم امير الكويت الشيخ مبارك الصباح بالأمر ، فأرسل الى ابن السعود كتاباً ينبهه وينصحه ويقول فيه :

« يا ولدي ، كن معه صلباً ، ولا تمكنه من شيء ، ولا تعطه الجواب النهائي » .

وكذلك فعلت الحكومـــة العثمانية ، بعـــد ان تأكدت من فشل ابن الرشيد ، فسعت هي ايضاً الى عقد معاهدة صلح مع ابن السعود فأرسلت

اليه وفداً عثمانياً برئاسة طالب باشا النقيب .

وأسرع امير الكويت هذه المرة ايضاً ، فارسل الى ابن السعود ينبهه وينصحه ويقول له :

« احذرك من هؤلاء الكذابين الخداعين ، كن صلباً معهم يا ولدي ، ولا تمكنهم من شيء ، ولا تصدق ما يقولون . انهم كذابون خداعون » .

وهكذا كان مركز امير الكويت ، وهكذا كانت مكانة الكويت واستقلالها ونفوذها السياسي حين تشارك في توجيه سياسة المنطقة بالرغم من وجود الدولتين الكبيرتين بريطانيا والدولة العثمانية .

لقد كانت الكويت في درجة من الوعي السياسي بحيث لم تقنع باستقلالها والعيش بعزلة عن مشكلات المنطقة المجاورة ، بل كان لها شأن ورأي ، في حفظ التوازن السياسي في المنطقة ، وكان لها الاطلاع الدائم الدائب على كل ما يجري حولها من احداث واتفاقات اقليمية او دولية .

. . .

اما قاسم ، فلا ضير ولا بأس ابداً من استمراره في دعاواه الرعناء ، وسياسته المتهورة التي لن ينال اذاها سواه ، بعد ان حرم الالوف من ابناء الشعب العراقي الحبيب ، مما كانت تدره عليهم العلاقات الاقتصادية الحسنة بين البلدين ، وكان على رأس هذه الفوائد ان الوفاً من العراقيين كانوا يكسبون عيشهم في الكويت بعرق الجبين وبالعمل الشريف .

وليسأل قاسم اي مواطن من اهل البصرة ، عن نتيجة هذه الازمة المفتعلة التي اصطنعها ، فقطعت علاقات الاقتصاد والتجارة بين البلدين ، وعن آثار سياسة قاسم الرعناء في اقتصاد بلده نفسه ، ولا سيا البصرة .

ولن يجد قاسم حينذاك إلا جواباً واحداً ملؤه التبرم والاستياء من هذه السياسة الجنونية ، التي يتبعها حكم قاسم الذي يتمنى كل الشعب زواله ، لكي ينعتق هذا الشعب من الظلم ، ويزيح عن صدره عبء هذا الكابوس البغيض ، كابوس قاسم .

ولماذا لا يعود قاسم عن غيّه ، وهو الذي ادرك ، قبل غيره ، ما اقترف من اخطاء ، بحق الكويت ، وبحق العراق ، وكيف لا يدرك الخطأ وهو يرى سياسته تفشل ، وخطته تفضح ، ونواياه تكشف ، وليس هناك من اي امل في تحقيق اي جزء من احلامه .

اجل ، لماذا لا يعود قاسم عن غيّه ؟

الحق انه سؤال عويص .. وجدير بالتوجيه الى اكثر من جهة ، انه جدير ان يوجه الى قاسم نفسه الذي لن يجيبه بغير المكابرة والعناء ، ما دام قد سار في طريق نهايته ، وليس هناك من امل له في النجاة ، لا في الاقدام ولا في النكوص .

وهو سؤال جدير بأن يوجه الى شعب العراق ، الذي يستعد ان يجعل من قضائه على قاسم وحكمه ، احسن جواب عن هذا السؤال .

واذا كان قاسم لا يعود عن غيه ، بسبب المكابرة والعناد ، ولأنه اخذته العزة بالأثم ، فان شعب العراق الحبيب يعرف ان المكابرة لن تكون بديلاً للاخلاص الذاتي في العمل والمسؤولية ، وان قاسم ، ان كان مخلصاً لشيء ، فهو مخلص فقط لأنانيته ، واطماعه الشخصية ، التي ينقم الشعب عليها ويتحين الفرصة المؤاتية للقضاء عليها وعلى صاحبها !



إني واثق ان الادلة التاريخية والمنطقية التي سقناها كافية بحد ذاتها لاقناع اكثر الناس تعصباً لرأي قاسم ، بالارتداد عن هذا التعصّب ، والرجوع الى الحق ، كما انها كافية لكشف الغشاوة عن عيني كل من خدعته دعاية قاسم وابواقه ، ووصفت له الأمور على غير حقيقتها .

بل إني لواثق ان كثيراً من الناس مقتنعون بزيف دعاوى قاسم قبل ان يقرأوا هذا الكتاب ، وقبل ان يسمعوا الى وجهة نظر حكومة الكويت في الموضوع ، لسبب بسيط جداً هو انهم استطاعوا ان يعرفوا عبد الكريم قاسم على حقيقته ، وتوصلوا الى كشف حقيقة الوضع في العراق ، والتناقضات العظيمة التي يعانيها شعب العراق الشقيق .

ولكني ، في الوقت نفسه ، واثق تمام الثقة ان هذه الأدلة وذلك المنطق وتلك الحقائق ، لن تقنع قاسم وابواقه ، او بالأحرى ، لن تصد قاسم عن غيه ، ولا ابواقه عن الكذب على التاريخ

ولهذا سبب مهم يجب ان نتتبع جذوره في واقع العراق وفي مشكلاته

الآنية الداخلية والخارجية ، فهي المفتاح الوحيد الذي يوصلنا الى كشف سرّ قاسم ، وبطانته ، بحيث فتح قاسم وبطانتــه عونهم فجأة ، فلم يجدوا لهم غير هــذا السبيل يسلكونه ، لعلهم يطيلون عمرهم ، اياماً ، او شهوراً ، ولن أقول : سنين !.

فما هو واقع العراق الراهن ، الذي يدفع حكامه الى الاستمرار في حملة تزييف الحقائق هذه وفي تحريف عواطف الشعب حين يدعون انهم يتكلمون باسمه ؟

الأمر الأول الذي يجب ان نؤكده ههنا ، هو ان عبد الكريم قاسم فشل في حكم العراق ، وفي فرض السيطرة التي يريدهــا على البلد او يريدها له الآخرون ، فعمد الى هذه الطريقة (الكلاسيكية) المعروفة ، يريد توجيه انظار الشعب وراء حدود العراق ، لعله يستطيع بذلك ان يطمس الحقائق داخل العراق وضمن حدوده .

وللعراق امكانات عظيمة ، لم يتوفر مثلها لكثير من البلدان ولا سيما في منطقة الشرق الاوسط ، بل إنه مرشح ان يكون من ارقى البــلاد العربية ان لم يكن ارقاها ، وهو مرشح ان يقف على قدم المساواة مع كثير من الاقطار الأجنبية الأخرى ، وليس ذلك بغريب ولا كثير على العراق الذي بدأ فيه تاريخ الانسانّ ، بل ان بعض الباحثــين يصر على ان العراق كان جنة عدن التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة .

ومناخ العراق مناخ ممتاز ، بل مناخــان مختلفان ، واحد في الشمال وآخر في الجنوب ، ففي الشمال جبال شماء ، وخيرات جبلية لا تحصى ، وفي الجنوب سهول خضر وسهوب خصبة ومرابع جميلة ، تنساب فيهــا

الانهار العذبة وتحمل في امواجها دفق الرخاء والنماء والخصب .

ولكن كل ذلك لم يستطع ان يحقق الرخاء والاستقرار والطمأنينة في عهد عبد الكريم قاسم ! .

والعراق خير بلد يمكن ان يمثل في الاقتصاد نظرية الاكتفاء الذاتي انتاجاً واستهلاكاً ، بل انه ليستطيع ان يصدر الى الخارج وبكثرة وسعة ، كثيراً من اصناف المواد الغذائية ، ولكنه الآن ، يستورد الكثير من هذه المواد من الخارج ؟

ان باستطاعة نهر دجلة وحده ان ينظم ويهيىء من الموارد الاقتصادية ما يكفي لاعاشة عشرات الملايين ، ان توفرت لدى الشعب ، ظروف اقتصادية وسياسية تضمن الاستقرار وتشجع الافراد على الانتاج والابداع في جميع مجالات الاقتصاد زراعة وتجارة وصناعة ، ولكن واقع العراق الراهن يثبت عكس هذا ، لأن عبد الكريم قاسم قسم شعب العراق الى اكثر من فئة ، وألب جماهير الشعب بعضها ضد بعض ، واخمد كل حماس للانشاء والبناء ، فهجر الكثير من ابناء الريف قراهم واراضيهم ، وبذلك انخفض مستوى المعيشة ، وانتكس اقتصاد البلد ، فبعد ان كان العراق يصدر الأرز والقمح والشعير والمواشي بنسبة كبيرة ، اصبح الآن يستوردها من الخارج ليسد حاجات الاستهلاك المحلي .

والعراق الحبيب ينوء بسبعة ملايين من الناس ، ولكن ارضه الخصبة وخيراته العميمة ، تكفي عشرات الملايين ، وتستطيع ان توفر لهم طمأنينة النفس ورغد العيش .

وفي العراق معادن لم تستغل ، ومناجم لم تكتشف ، وفيه الذهب

الاسود ، عصب المدنية المعاصرة ، يتدفق بغزارة وكرم ، وفيه الانهار العظيمة والتربة الخصبة المعطاء ، فيه كل هـذه الخيرات ، ولكن عهد عبد الكريم قاسم لم يستطع ان يستثمرها ويستغلهـا على الوجه الحسن ولمصلحة الشعب العراقي ، بل ان حكومته كثيراً ما واجهت أزمات مالية خانقة حين أوشكت اكثر من مرة ان تعجز عن دفع رواتب الموظفين ، لولا أقساط النفط التي يلح عبد الكريم قاسم على استلامها قبل موعدها .

ان عبد الكريم قاسم لم يستطع ان يغني الشعب العراقي ولم يستطع ان « يرفع الفقراء الى مستوى الاغنياء » كما يحلو له ان يردد ، فلم يجد بدأً من تحويل انظار الشعب والهائه بقضيـة الكويت التي لم تكن إلا أزمة مفتعلة اراد قاسم اشعال فتيلها لعلّها تطيل من ايامه .

ومن لشعب العراق يسهر على مصالحه ويرعى اموره ، ان لم تكن الدولة هي الساهرة والراعية المخلصة الأمينة ؟!

لقد مضى على ثورة العراق اكثر من اربع سنوات فماذا حقق زعيم الثورة في هذه الاعوام ؟

ماذا حقق وفعل غير المهاترات واثارة الفتن بين الآمنين من ابنـاء الشعب ، وغير نشر الخراب والدمار ؟!

عجز في الميزانية .

تفكك وانحلال ، وتفسّخ .

بطالة متفشية

خذلان وفشل تام في السياستين الداخلية والخارجية .

كره وحقد مميت .

هذا حصاد عهد عبد الكريم قاسم ، فهل يمكن ان يزول كل ذلك باضافة أهل الكويت الى شعب العراق الذي تـدور على رأسه رحى الحكم القاسمي ؟.

ان الكثير من رجالات الفكر والرأي في العراق يستنكرون هـذه الأزمة ويسخرون من دعاوي عبد الكريم قاسم ولقد تكلم بعضهم بصراحة عن الزيف والاصطناع اللذين تزدحم بهما حجج عبد الكريم قاسم الواهية ودعاواه ضد شعب الكويت ، بل ان بعضهم قال ان عبد الكريم قاسم يريد ان يجعل من الكويت (موصلاً) ثانيـة او (كركوكاً) أخرى يجرب فيها براعة حكمه في السحل والتقتيل والتعذيب والارهاب !.

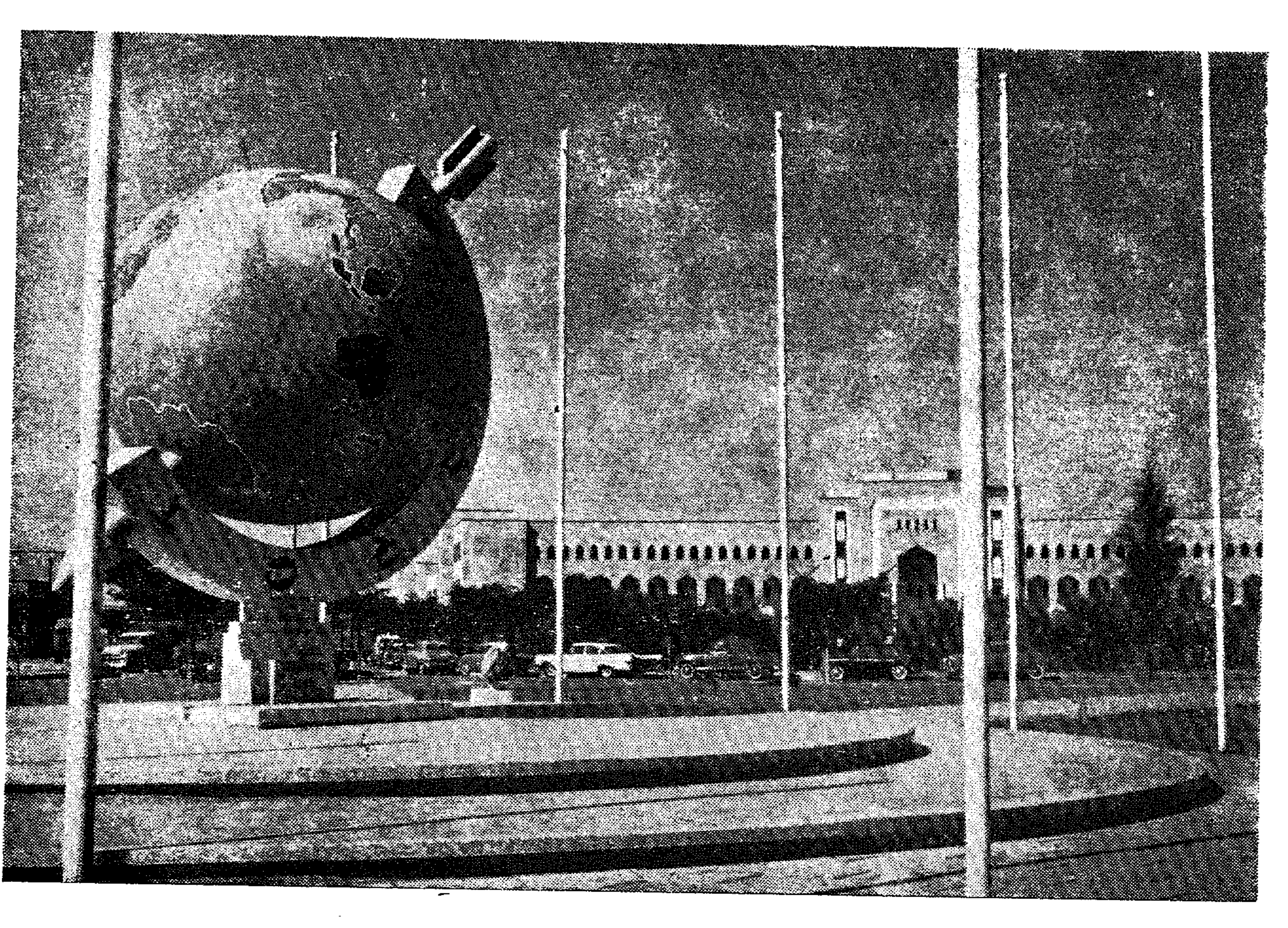
وليت شعري ، هل كانت الكويت اسرائيل المغتصبـة التي يعيش شعبها في قلق من الغزو القاسمي ؟!

ان الساكت عن الحق شيطان أخرس ، والحقيقة الناصعة التي لا مراء فيها هي ان لعاب عبد الكريم قاسم يسيل لميزانية شعب الكويت ولهذا فهو يطمع ان يمتلكها لكي يسدّ العجز في ميزانيتـه ويستر إفلاس خزينته !.

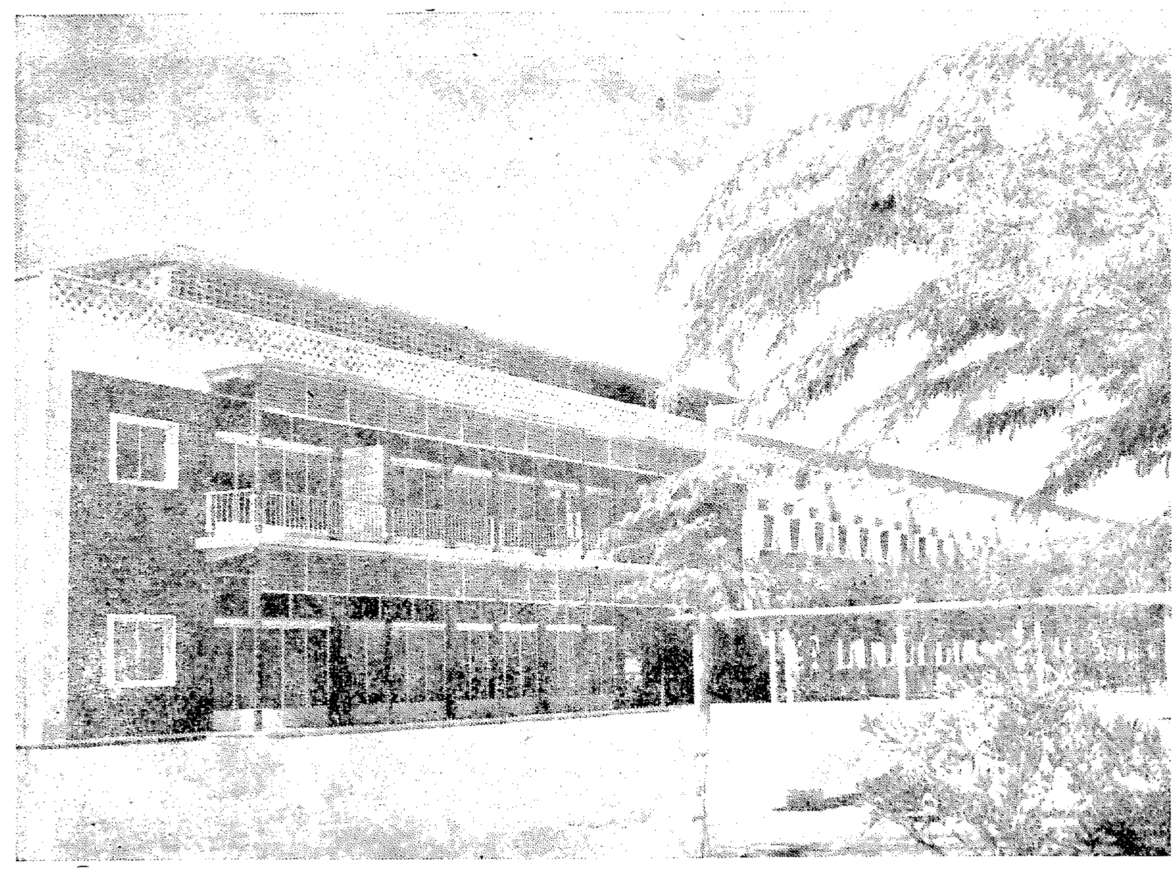
وقد نسي ان الكويت تمد يدها دائمـاً وابداً لمصافحة جميع العرب الأخيار ولا تألو جهداً في سبيل رفع أي حيف عنهم ، كما لا تألو جهداً في سبيل الاستعانة بهم على رد الحيف عنها ان جاءهـا من جار غاشم جاهل يسمى زعيم العراق الأوحد !.

لقد نسي عبد الكريم قاسم ان شعب الكويت يفتح ذراعيه لاستقبال كل أخ عربي ومساعدته في محنتـــه ، وان ثروة شعب الكويت كانت وستبقى مكرّسة لانماء اقتصاديات البلاد العربية الاخرى ومساعدتها على سد حاجاتها ، مساعدة الأخ للأخ ، والندّ للندّ .

وتلك هي أصالة الخلق العربي منـــذ ان أشرقت على جزيرتهم شمس التاريخ والحضارة !.



مدرسة ثانوية الشويخ وستصبح جامعة في سنة ١٩٦٤



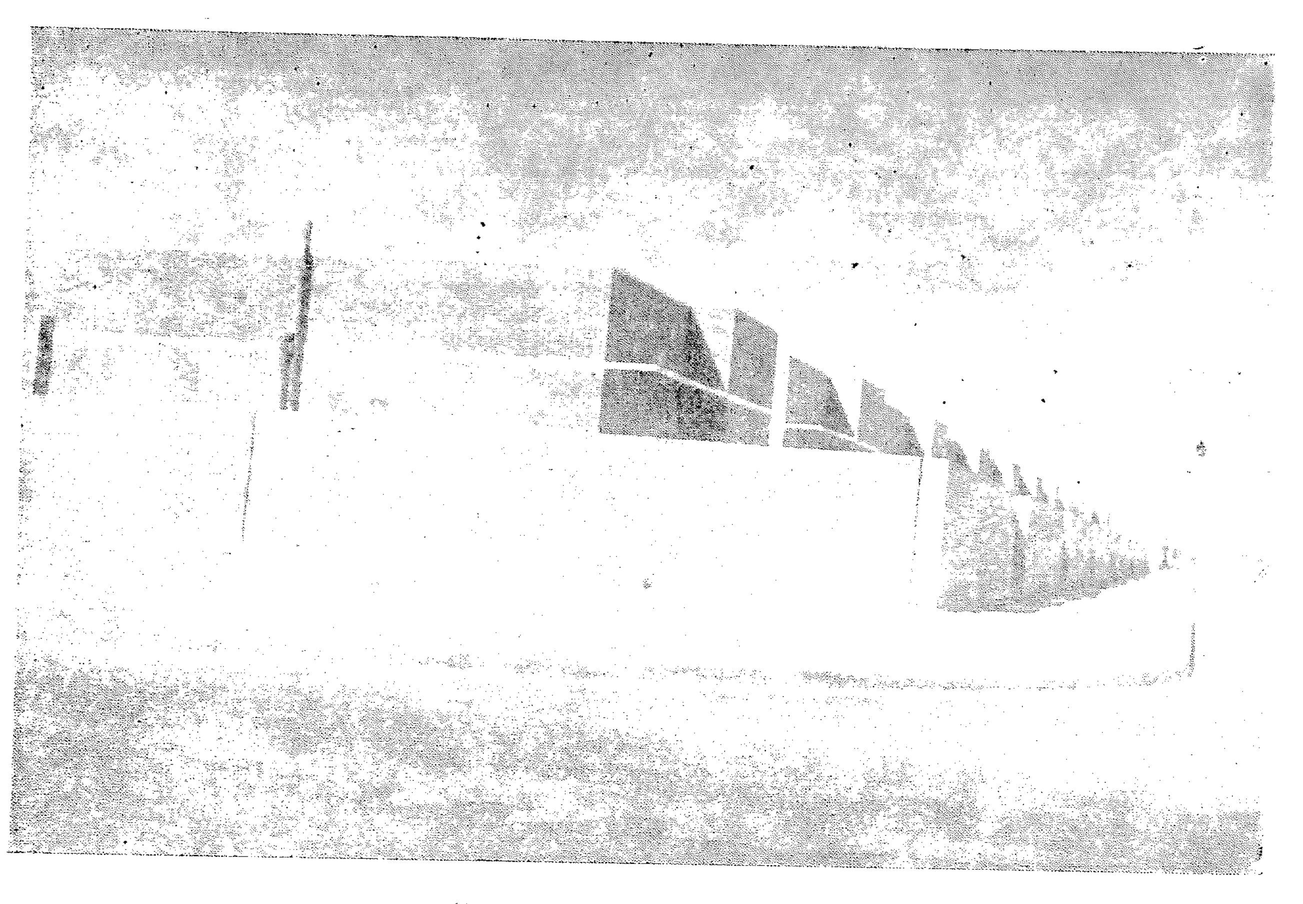
الكلية الصناعية



طالبات في مدرسة مكفوفات البصر



طلاب في رياض الأطفال



منظر آخر لبيوت ذوي الدخل المحدود

- ٩ -

والمضحك المبكي في تمثيلية عبد الكريم قاسم هذه ، ان حكومة العراق منذ قيام الثورة تتصرف تجاه الكويت كما تتصرف اية دولة تجـاه دولة اخرى مستقلة ، وهي تعترف باستقلال الكويت وتعدها بلداً مجاوراً للعراق تقوم بينهما حدود وحواجز كأية دولتين متجاورتين مستقلتين .

واجراءات الحدود الاعتيادية التي كانت تتخذ يوميـاً تؤكد هذه الحقيقة ، بل ان جوازات السفر لم تكن لتعتبر نافذة المفعول ما لم تختم بختم خاص يمنح المسافر بموجبه سمة الدخول بين البـلدين ، وكان ذلك يطبق بدقة واصرار ولا يميّز فيه او يفرّق بين مسافر وآخر ، وكانت اجهزة الأمن نفسها تشرف على هـذا التطبيق دون اي تسامح او حتى مراعاة لحقوق الجيرة بين البلدين .

ولئن أورد هنا أمثلة كثيرة متعددة للتدليل على هـذه الحقيقة ولكني استميح القارىء الكريم عذراً ان انا اكتفيت بسرد الوقائع التي حدثت لي بالذات في المرات القليلة التي سافرت فيهـا الى العراق او مررت به في طريقي .

فقبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ كانت حكومة العراق الملكية قد منعت بعض رجالات الكويت وشبابها من دخول العراق لأسباب منها ان تلك الحكومة كانت ترى في هؤلاء الذين تمنعهم من دخول اراضيها ، خطراً على كيانها ، وقد كنت انا احد المحظور عليهم دخول العراق قبل الثورة .

وقامت الثورة ، وهللنا لها ، ورحبنا بها وارسلنا برقيات التأييد الكثيرة ، وسافرت وفود من الكويت تقدم التهاني الى شعب العراق والى الحكومة الجديدة ، واذيعت اخبار هذا الوفد من اذاعة بغداد نفسها وبعد المضاعفات التي حصلت في العراق ، والاضطرابات الدامية التي وقعت ، اردت ان ازور هذه البلاد التي تربطنا بها روابط الاخوة الصادقة فسافرت في الثاني عشر من تموز سنة ١٩٦٠ بالطريق البري .

وحين وصلنا الحدود الفاصلة بين العراق والكويت دخلنا مركز (صفوان) لتأشير جواز السفر وتفتيش الأمتعة من قبل موظفي الجمارك .

ولكني فوجئت بضابط مسؤول يقول لي :

« أنت ممنوع من دخول العراق !.. »

ورجعت بذاكرتي الى الماضي القريب لعلي اجد شيئاً قد فعلته ضد حكومة الثورة في العراق يستوجب منعي من الدخول اليه ، فلم اجد اي تفسير لهذا المنع ، ولكني قلت للضابط :

« انا لا اذكر اي تبليغ بمنعي من الدخول الى العراق بعد الثورة » .
فقال .

« ان المنع ما يزال قائماً منذ عهد نوري السعيد .. »

وصعقت .. وقلت وانا مشدوه :

« ولكنكم قمتم بالثورة ، واطحتم بنوري السعيد وبعهده ، فلم تبقون على آثاره ؟! »

فلم يحر جواباً ، ولكنه تمتم :

« هذه اوامر يجب ان تطاع » .

وعدت الى الكويت ، بعد ان منعتني حكومة الثورة من دخول العراق بموجب قرار من حكومة نوري السعيد التي قضت عليها الثورة .

وعش تَرَ تَرَهْ ..

ولكني اسوق هذه الحادثة للتدليل ايضاً على استقلال الكويت واعتراف العراق بهذا الاستقلال ، فلو كانت الكويت حقاً تابعة للعراق فما كنا نجابه كل تلك الصعوبات لكي ننتقل من (قائمقامية) الكويت الى (ولاية البصرة) !!

ولو كنت عراقياً كما يدعي عبد الكريم قاسم ، فلماذا لم يقبضوا عليَّ ويحاكموني باعتباري احد رعاياهم ؟!

ومرة ثانية .

كنت عائداً من لبنان الى الكويت في طائرة مرت ببغداد ووقفت فيها ، ولكنهم اوقفوني في المطار ثلاث ساعات بحجة تذرع بها موظف الجوازات في المطار وهي اني لا احمل سمة الدخول الى بغداد .

وبعد جدل طويل قلت له ان سمة الدخول الغيت بين الكويت والعراق

باتفاق تمّ بين الحكومتين ، وصار يكتب على الجوازات الكويتية :

« صالح لدخول العراق بدون سمة » .

فلم يقتنع الموظف المسؤول بذلك بل احالني الى (مديرية الاقامة) التي سمحت لي بعــد أخذ ورد دام ساعتين ، ان ابقى في بغــداد يومين فقط !!

ومرة ثالثة .

كنت عائداً مع عائلتي من كراتشي الى الكويت بالطائرة عن طريق البصرة ، ووصلنا البصرة في الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل . وكان جواز زوجتي قد انتهت مدته قبل ساعة ونصف الساعة فقط ، أي ونحن نحلق في الجــو فامتنع مدير الجوازات في البصرة عن السماح لزوجتي بالبقاء في البصرة ساعات معــدودة حتى ينبلج الصبح فنغــادر العراق الى الكويت بأول طائرة ، ولولا تدخل بعض العاملين في شركة الطيران لأصر على تسفير زوجتي في اول طائرة تقلع من مطار البصرة ، ولقد صادف ان تلك الطائرة كانت متجهة الى لندن !!

فالى أي شيء ترمز هذه الحوادث ؟

هل يفهم منها ، رغم كل ما فيها من تعنت الموظفين وسوء تصرفهم الا شيء واحد فقط هو ان هؤلاء الموظفين ينفذون اوامر الحكومة التي تشعر ان لها الحق في محافظة حدودها وحماية أمنها .

وان من حق العراق ان يراقب حدوده ومطاراته ، ومن حقــه ان يمنــع اي مواطن كويتي من دخول العراق . فالكويت دولة اخرى لها

حقوقها ورعاياها ، كما ان للعراق حقوقه ورعاياه ، والعراق دولة مستقلة وكذلك الكويت .

فما عدا مما بدا ؟! وكيف انقلبت الآية فجأة : دولة الكويت الحرة المستقلة ، باعتراف حكومة العراق ، (قائمقامية) تابعة لولاية البصرة منذ عهد آل عثمان الذين كان العراق في عهدهم (ولاية) تابعة للدولة العثمانية .

* * *

ثم ماذا ؟

ها نحن أولاء نصل الى آخر المطاف الى قصة الزعيم الجاهل الأوحد عبد الكريم قاسم ، ولكن ختام هذه القصة لن يكون مسكاً ، لأن حاكم بغداد ، ما يزال يصر على دعاواه المهووسة واوهامه المضحكة ، وله في كل يوم خطاب وتصريح ، يملأ بها اعمدة جرائد بغداد ويصدع آذان الناس .

ومن المستحيل ان يكون المسك ختاماً لقصة رجل مثل عبد الكريم قاسم لأن هذا ضد منطق الامور وضد طبائع الاشياء .

والمسك لم يخلق لكي يتطيب به الاشرار والمجانين ، بل هو طيب الطيبين من الناس والاخيار من الحكام ، ولم يكن عبد الكريم قاسم في يوم من الأيام طيباً ، ولا خيراً .

ومنطق التاريخ وطبيعة الاشياء يؤكدان استحالة ان تكون (الكويت)

في يوم من الايام لقمة سائغة يزدردها عبد الكريم قاسم بعد ان سال لها لعابه اكثر من مرة ، وفي اكثر من خطاب وتصريح !!

ومنطق التاريخ نفسه ، وطبيعة الاشياء ذاتها ، يؤكدان استحالة ان يرضخ شعب مهما كان ، لمشيئة حاكم مجنون وقد طوى التاريخ في اسفاره كثيراً من هذا النوع من الحكام ، فلم يعـد نيرون وكالغولا وقرقوش وهتلر الا اثاراً تقرأ وتدرس للعبرة والانعاظ ولن تكون نهاية عبدالكريم قاسم باحسن من نهايات هؤلاء .

* * *

على اننا نريد قبـل ان نطوي صفحات هذا الكتاب ان نلقي بعض الاضواء على قضية الكويت ، من وجهة نظر قومية بحتة ، وعلى أساس من المنطق القومي الذي يؤمن به كل عربي تحرّر من عقد النقص ، ومن أوهام الاساطير ، فلم تعد تؤثر فيه (بهلوانية) اللاعبين على الحبال ، ولا « مناورات » الممثلين الذين يعتلون خشبة المسرح ، ويرتدون في كل مشهد من مشاهد الرواية بوجه جديد .

واعتماداً على هذا المنطق القومي ، وجرياً على الطبع العربي الأصيل ، كان من الطبيعي ، كلما اثيرت وافتعلت أزمة الكويت ، ان تخطر على بال المواطن العربي قضية الوحدة العربية الشاملة وضرورة ان يضم جميع البلاد العربية بين المحيط والخليج نوع من نظام يجمع الشمل ويوحد الأمة ، وينسق الجهود ، بغض النظر عن الشكل الدستوري لهذا النظام الجامع .

نحن عرب . سواء أكنا في الكويت أم في الجزائر ، والوحدة هي نهاية شوطنا ومصير أمتنا ، وما من عربي في هـذه البقعة الشاسعة التي وحد ابناءها اللسان والتاريخ والدين والمصير يستطيع ان يتجاهل هـذه الحقيقة او ينكرها .

ولكن للمنطق القومي في ازمة الكويت ودعاوى عبد الكريم قاسم موقفاً آخر وسبيلا ينسجم مع هذا الموقف .

فلا بد لهذا المنطق من ان يتساءل اولاً :

- هل يصدر عبد الكريم قاسم في قضية الكويت عن منطق عربي سليم او موقف قومي ايجابي ؟

وليس لهذا السؤال الا جواب واحد هو النفي البات ، ولكن نفي مستند الى الادلة ، ومعتمد على الوقائع والوثائق ، وهو نفي مبني على حقيقة عامة متعلقة باللواء قاسم وهي انه لم يكن في يوم ما قومياً ، ولم يصدر في أي موقف من مواقفه داخل العراق أو خارجه عن أي منطق قومي .

ولعل المطلعين على تطور قضية الكويت وعلى مراحل ازمتها يلاحظون ان عبد الكريم قاسم ، حين يطالب بالكويت ، يطالب بها على اساس أقليمي شعوبي بعيد كل البعد عن أي مفهوم عربي ايجابي سليم .

فالكويت في رأيه ، قائمقامية تابعة لولاية البصرة في العهد العثماني .

وهذا معناه في ما يدعو اليه عبد الكريم قاسم ، ان الكويت جزء من العراق ، لا جزء من الأمة العربية ، وهذا منطق شعوبي .

وهو يطالب بالكويت على (اساس) اخترعه وما يزال يتغنى به وهو (الوحدة العراقية الصادقة) ، وهـذا موقف آخر لا يبتعـد كثيراً عن الشعوبية ولكنه يمعن في (الاقليمية) الى حد فظيع .

وهو حين يستعرض التاريخ ، يهمل كل مراحل التاريخ العربي حين كان العرب اسياداً في اراضيهم وفي بلادهم ، وينتقل الى الفترة المظلمة ويستمد شهوده من قبور سلاطين بني عثمان ! . وقد كان بوسعه ان يقول ان ساحل الخليج العربي ، مثـلا جزء لا يتجزأ من الأرض العربية ، ولـكن الذين يعرفون عبد الـكريم قاسم حق المعرفة ، يعرفون ايضاً استحالة ان يفكر هذا الرجل تفكيراً عربياً ، ولعلهم يشيرون بذلك الى اصله غير العربي ، فان العراقيين يتهامسون احيانـاً بقصص غريبة عن المغول الذين جاءوا العراق مع هولاكو وجنكيز خان ، واستقر قسمٌ منهم في شرقي العراق وعاشوا هناك وذراريهم بعد ان انحسر ظل التتر عن البلاد .

ولسنا نريد ان نطيل في هذا الصدد ، اذ لم نكن في يوم من الايام من المؤمنين بالعنصرية والعرقية ولن تكون القومية العربية في رأينا مبنيّة على نقاوة الدم العربي ، ولكننا لا نجد هنا بدأ من الاشارة الى هـذا العامل الذي قد يكون له تأثيره العظيم في شخصية رجل مثل قاسم حاقد مقطوع الجذور عن واقع أمة العرب .

* * *

ومنطق الوحدة العربية شيء ، ومطالبة قاسم بالكويت شيء آخر .

فان من البديهيات التي لا يكاد إنسان عربي مثقف يجهلهـا ، ان الوحدة هذه عمل شعبي ، وانها لن تكون وحدة صحيحة صادقه الا اذا تمت بارادة شعبية .

وعلى الرغم من ان عبد الكريم قاسم لا يصـدر في قضية الكويت عن منطق وحـدوي ، فان للقارىء الكريم الحق في ان يسأل ، هل يستجيب قاسم في قضية الكويت ، وبهذا الاسلوب الذي عرضت فيه . وبهـذا الزيّ الذي ألبسها إياه ، الى إرادة شعب الكويت ، بله إرادة شعب العراق ؟!

اللهم لا .

ومن بديهيات الوحدة ان تكون وحدةً لا ضماً ولا سلباً ولا اغتصاباً ، فأين من كل هذا دعاوى قاسم ، ودجل أبواقه ؟.

الا يدعو موقف قاسم هذا الى تأكيد الرأي القائل بأن هذه الأزمة المفتعلة أساءت الى قضية الوحدة العربية بصورة عامـة ، واستطاعت ان تجعل الانسان العربي العادي يسأل نفسه مئة مرة في اليوم ، لمـاذا فعل عبد الكريم قاسم هذا ؟ ومن الذي أوحى له بهذه الفكرة ؟ وهل تراه يهدف من ورائه الى إيهام الناس ان العرب حين يدعون الى الوحدة ، فانهم في الواقع يدعون الى انتهاب خيرات البلد الغني ، واغتصابهـا والاستئثار بها على حساب الوحدة ؟.

* * *

واذا كان عبد الكريم قاسم مخلصاً هذا الاخلاص (للوحدة العراقية

المصادقة !!) وهو يطالب بالكويت على هذا الأساس ، فلماذا يفرّط هو نفسه بهذه الوحدة العراقية ، ويفسح المجال للاكراد ان يتمردوا في شمال العراق ، ويشعلوا نار الفتنة والعصيان ، وهو يشاغل الناس عن حقيقة تواطئه مع (البارزاني) او سكوته عنه ، على الأقل ، باثارة هذه الزوبعة في فنجانه ، واطلاق الدخان الكثيف متذرعاً بقضية الكويت ؟!.

* * *

وفي العراق ، على ألسنة ابناء الشعب ، اسئلة حيوية متعددة تحتاج الى أجوبة شافية ، وهي اسئلة خطيرة تتناول مختلف قطاعات الحياة العراقية في الاقتصاد والسياسة والاجتماع ، ولكن عبد الكريم قاسم يضرب صفحاً عن كل هذه الاسئلة ويشغل نفسه والشعب العراقي ، بأزمة مفتعلة قد يحار المعنيون بشؤون السياسة في تحليل دوافعها واتجاهاتها ، ولكنهم يتفقون جميعاً في أمر واحد جوهري ، هو ان عهد عبد الكريم قاسم في العراق ، ليس الا استمراراً للفساد السياسي الذي كان ينخر في دولة العراق قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، حتى لكأن الأمر يبدو وكأن كل شيء لم يتبدل ، الا الوجوه والا الشعارات ، واذا كان نوري السعيد قد ذهب ، فلقد حل محلّه تلميذه ، وموضع ثقته الزعيم الركن عبد الكريم قاسم !.

* * *

وبعد ..

فان كلاماً كثيراً يمكن ان يقال ، عن عبد الكريم قاسم وعن العراق ، ولكن كتابنا هـذا كتاب خاص بقضية الكويت ، ونحن لم نتطرق الى الأمور الأخرى ، الا لعلاقتها بالقضية ، ولارتباطها بها .

غير ان شيئاً واحداً ، نستطيع ان نقوله .. بكل ثقـة واطمئنان ، ويقوله معنا كل عربي مؤمن بحق امته في الحرية والكرامة .

ان كثيرين صعـدوا الى مسرح التاريخ ، عبر الدهور والقرون ، وكثيرين مثلوا على هذا المسرح ادوار الابطـال ، او ادوار المهرجين ، ولكنهم جميعاً ذهبوا ، ولم يبق الا وجه ربك والا الشعوب .

ولن يستطيع فرد مهما عتا ، واستكبر ، ان يزيف التاريخ ، ولا ان يرجع عجلته الى الوراء .

والطغاة هم الزبد ، واما ما ينفع الناس فهو ايمـان الشعوب ، وتضحياتها ، وأصالتها .

واما الزبد فيذهب جفـاء ، واما مـا ينفع الناس فيمكث في الأرض .

صدق الله العظيم .

خاتمة المطاف

وها نحن مرة أخرى ، نعود الى موضوع هذا الكتاب فنحمل خطوطه العريضة ونضع النقاط على الحروف موضحين بعض ما غمض ، وكاشفين بعض الأستار عن بعض ما خفي ، وعائدين بالقارىء الى الوراء خطوة خطوة لنستعرض مراحل الأزمة وجذورها التاريخية في واقع العراق الراهن وفي أحلام عبد الكريم قاسم ، ليكون هذا الفصل الأخير خلاصة وافية بما شرحناه مفصلاً في ثنايا الكتاب ، ولنبرز فيه النقاط الحسّاسة المهمة في الموضوع لكي يكون القارىء الكريم على علم بها ، ولكي يضع يده على موطن الداء ، من جسم الرجل المريض الذي يحكم بغـداد ، بالحديد والنار .

* * *

...في اول الأمر ان نؤكد هنا ان الكويت استطاعت الحفاظ على شخصيتها وحدودها منذ قرنين من الزمان ، وان حكامهـا لم يألو جهداً في السير بها الى الامام في مضامير التقدم والمدنية . فاستطاعت الكويت في هذين القرنين من الزمن ، وهي فترة قصيرة جـداً في حساب التاريخ ، ان تتقدم خطوات واسعة الى الأمام ، وان تصبح بلاداً عامرة منتجة غنية ، بعد ان كانت رمالاً جرداء ، ليس فيها الا مواطن الصيد ومرابع القنص !.

٢ ـ واستطاعت الكويت ، ولا سيما بعد معاهـدة الاستقلال الأخيرة ، ان تسهم في بناء الوطن العربي ، وفي تمويل مشاريع الانماء والاعمار في اكثر اقطار العروبة ، وكان آخر ما قدمته في هذا المجال قرضها الأخير لحكومة الجزائر لكي تساعدها على بنـاء الجزائر الجديدة ، وهو قرض بلا شروط ، ولا منّة ، ولكنه قسط من واجب ينبغي على كل عربي ان يؤديـه ، وعلى كل حكومة عربيـة ان تساهم فيه .

٣ ـ ولكن يبدو ان هناك من لا يعجبـه ان تكون ضمن الوجود العربي دولة قوية غنية كالكويت ، تبني مجتمعها ، وتعمر أرضها ، وتسعى جهدها لمساعدة شقيقاتها الدول العربيـة الأخرى ، فأثار في فنجان صغير ، زوبعة تشبه عجاجات بغداد الحمراء ، واقام الدنيا واقعدها في ازمة مفتعلة ، لا أول لها ولا آخر ، ولا سند لهـا من الحقيقة ولا برهان ، الا ما يتراءى في احلام الرجل الذي يحكم بغداد من مقره في وزارة الدفاع !.

٤ ـ ومن طبيعة الأشياء ان تسكن وتقرّ بعد الحركة والهيجـان ، غير ان طبيعة عبد الكريم قاسم ، طبيعة من نوع ثان ، لا تستقر ولا تهدأ الا بعد الحشرجة والنزع الأخير ، ولهـذا دأب عبد الكريم قاسم وبطانته ، على تقديم اغنيتهم (النشاز) وازعاج العرب في كل مكان ، باللحن الغريب المجوج .

٥ ـ ولقد تخيّل عبد الكريم قاسم ، وتوهّم انه خطيب مصقع لا يشق له غبار ، فهو أفصح من سحبان وائل ، واقوى عارضة من الامام علي رضي الله عنه ، وأسطع برهانـاً من الجاحظ ، وأسرع بديهة من ابن المقفع !!. وسبحان الذي يجمع العالم في واحد !!. ولله في خلقه شؤون .

غير ان على العرب ضريبة ان يسمعوا عبد الكريم قاسم وخطبـه (البتراء) وتصريحاته (العنترية) ، وليس لهم إلا ان يترحموا على شيخ المعرة الذي قال :

اذا وصف الطائي بالبخل مادرٌ وعيّر قساً بالفهاهة باقلُ

وقال السهى للشمس انت كليلة وقال الدجى للصبح لونك حائل

وطاولت الأرض السماء سفاهة وعيّرت الشهبَ الحصى والجنادل

فيا موت زر ان الحيـاة ذميمة

ويا نفس جدّي ان دهرك هازلُ !!

والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه !!

* * *

٦ ـ وعبد الكريم قاسم شخصية غريبـــة ، لن يستطيع اي كاتب أن يفيها حقها من الدراسة والتحليل الا اذا استعان بما كتبه علمـــاء النفس والامراض العقلية .

ويخيل اليّ ان هذا هو سرّ الغموض الذي يتوهمه فيـــه الناس فهو ليس غامضـــاً ، ولكنه مريض ، وهو ليس عبقريـــاً ولكنه مجنون ، واذا كان بين العبقرية والجنون شعرة واحـــدة ، فان بين عبقرية قاسم المزعومة وجنونه الثابت ، شعرات ، وحبالاً حمراً تمتد من شمال العراق الى جنوبه !.

٧ ـ والكويت ، حلمٌ جال في نفس عبد الكريم قاسم ، غير ان تحقيقه ، ممكن ومحتمل الحدوث ، ان كانت احـــلام المجانين تتحقق ، وان كانت اوهام الممسوسين تتجسّد في عـــالم الحقيقة والواقع ، وفي القرن العشرين ، عصر الذرة واكتشاف الفضاء !.

٨ ـ ومن يسمع تصريحات قاسم ، وما تبثه اذاعـــة بغداد ، وما تنشره صحافة العراق الناطقـــة باسم قاسم ، يظن ان استحواذ قاسم على (قضائه السليب) غدا أمراً مفروغـــاً منه ، ولكن الذين يعرفون الكويت ، ويعرفون قاسم ، يعرفون ايضاً ان هذه الازمـــة المفتعلة لن تكون ابداً اكثر من زوبعة في فنجان ، ولسوف يموت قاسم ، وفي نفسه شيء من (قضائه السليب) !!.

٩ ـ وهكذا انتهت هذه الازمة المفتعلة واستقل الكويت وتتابع اعتراف الدول دبلوماسياً بالدولة الجديدة ، وخابت كل مساعي عبد الكريم قاسم في عرقلة هذا الاعتراف ، بالاغراء تارة ، وبالتهديد اخرى ،

ولكنه لم يفطن الى النهاية الفظيعة التي وصل اليها ، فقد عزل بلاده عن العـــالم ، واذا ما استمر في سحب سفرائه من كل بلد تعترف حكومته بالكويت ، فسوف يأتي يوم لن يجد له فيه سفيراً في أية عاصمة من عواصم العالم ، ولسوف يندم حينذاك غير ان الندم لا ينفع الحمقى ، ولا يجديهم فتيلاً !

١٠ ــ غير ان بعض المطلعين يفسرون سحب قاسم سفراءه تفسيراً آخر ليست قضية الكويت فيه ، الا حجة ووسيلة ، فانهم يتهامسون بأن خزينة العراق اصبحت عاجزة عن تمويل سفاراتها في الخارج ومدّها بالنفقات الضرورية التي يتطلبها العمل الدبلوماسي ، فلجأ قاسم الى هذه الذريعة ، وسحب سفراءه بحجـــة اعتراف الدول المضيفـــة بالكويت ، تحاشيـــاً للنفقات التي لم تعد خزانتـــه تستطيع ان تسدّدها !.

ترى ، اين ذهبت ثروة العراق وموارد نفطه ؟!

١١ ــ وفي اسلوبه الاخير هذا ، مفارقة اخرى ، مضحكة مبكية .

فان سيادة الزعيم الاوحد ، لم يسحب سفراءه من عواصم الدول المعترفة باسرائيل ، التي اغتصبت فلسطين ، وشرّدت اهلهـــا ، بل ان ذلك لم يمنعه من عقد المعاهدات والاتفاقيات معهم .

وهكذا يجتمع الصيف والشتاء في زمان واحـــد ، ويصافح عبد الكريم قاسم اليد التي تمد اسرائيل بأسباب البقاء ، ويسحب سفيره من نفس الدولة ، لانها اعترفت باستقلال الكويت !.

١٢ ـ والذين يظنون ان عبد الكريم قاسم رجل ذكي ، مخطئون في ظنهم كل الخطأ ، فليس حاكماً ذكيـاً ، من يعيش في القرن العشرين وينهج على اساليب القرن التاسع عشر .. ويترسّم خطى شخصيات ذلك العصر ، الذين لم يستطيعوا ، بالرغم من ذكائهم ودهائهم ، تحقيق احلامهم العريضة !.

ومن الظلم حقاً ، ان يشبه عبد الكريم قاسم ، برجل مثـل نابوليون ! ولكن ميزان عبد الكريم قاسم ، تستوي فيه المتناقضات ولا تستقيم فيه الا المفارقات !

١٣ ـ ومن هذه المفارقات ، تلك التشكيلة العجيبـة التي تجمع بين عبد الكريم قاسم وحاشيتـه ومريديه وحارقي البخور له ، اما هو ، فممسوس شاذ ، ومقامر قديم !! واما حاشيته ، فهم بين جبـان رعديد ، او انتهازي عريق ، او منافق ذي مصلحة .

وتأتي بعد ذلك طبقة من المرتزقة فيها بعض اصحاب الصحف ومحرروها ، وفيهم من كان سجيناً لجريمـة اقترفهـا او فضيحة اخلاقية ارتكبها ، حتى اذا شعت انوار عبد الكريم قاسم ، اطلق هذه (النماذج) من السجن ، ومنحها امتيازات باصـدار الصحف التي تحرق له البخور ، وتسبح بحمده صباح مساء .

ولكن شعب العراق ، يعرف قاسم جيـداً ، ويعرف الحاشية والمرتزقة واحداً واحداً ، وله مع كل منهم حساب عسير !؟

* * *

١٤ ـ ومن تحصيل الحاصل ان موقف حكومـــة عبد الكريم قاسم من الكويت لا ينسجم مع اي منطق قومي سليم ، بل هو أقرب مـــا يكون الى المنطق الشعوبي الذي يفزعـــه مجرد ذكر العروبة والتغني باسمها .

ولهذا ، فليست بنا من حاجـــة الى القول مرة اخرى ، بأن دعوى (ضم) الكويت ، انما هي دعوى زائفة لا تتفق مع أي مفهوم قومي سليم ، لان هذا المفهوم القول السليم انمـــا يبنى على فكرة الوحدة التي تحققها ارادة شعبيـــة ، وفي ظروف ديمقراطية متكافئة .

ولكن عبد الكريم قاسم ، لا يؤمن بهذه المفاهيم ، وهو بالتالي لا يصدر في موقفه تجاه الكويت الا عن مصدرين ·

أولهما : منطق شعوبي حاقد على العرب والعروبة .

وثانيهما : طمع بثروة الكويت وخيراته ، لا لكي يستفيد منهـــا شعب العراق ، ولكن لكي يبذّرها على حاشيته ومرتزقته ، وينصب بها تماثيله في ساحات بغداد !! وعلى جدران وزارة الدفاع .

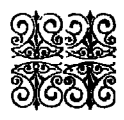
١٥ ـ ولقد قيل الكثير عن قاسم ، وعن الجهات الاجنبية التي تسنده ، والعـــارفون ببواطن الأمور في العراق ، يشيرون الى علاقات وملابسات واحداث ومواقف معينة ، يربطون بينها وبين عبد الكريم قاسم والنبع الذي يستقي منه .

غير ان الشيء الثابت ، ان عبد الكريم قاسم ، مستعد ان يمد

يـــده الى أي كان ، حتى الشيطـــان ، في سبيل ان يبقى في كرسيه .

وتلك هي عقدته ، وسوف تكون خاتمة مطافه ايضاً ، فالحرص على الكرسي ، أعظم خطر يهدد الطغـــاة ، ولن تكون نهاية عبد الكريم قاسم بأحسن من نهـــايات أمثاله الذين امتلأت صفحات التاريخ ، بأحداثهم ووقائعهم ، حتى اذا ذهبوا ، ذهبت احداثهم ووقائعهم ولم يبق لهم من أثر .

وتلك هي حكمة التاريخ ، المليء بالعظات والعبر !.





المؤلف

الكويتُ وطني ، ووطنُ الأحرارِ الشرفاء ، وكل حفنة من رمالـه وكلُ شبرٍ من شطآنه مرويٌّ بأنهار من الدماء والدموع . وهو بحدوده المعترفُ بها كيان ضروريّ لاستمرارِ حياةِ كلِ كويتي . فهوَ لا يَراه ويحبه ويفتديه وحسْب ، بَلْ يعيشُه أيضًا . ولئن كانَ منَ السَّهْلِ على خيالِ الزّعيمِ قاسم أن يتوهّمَ الكويت شريحة منْ (أملاكه) أو قطعة من البلدِ الذي نُكب بسلطانِه ، فأمر عسير تحقيق هذا التوهُّم وإحالته حقيقة واقعة . . . إن الكويت لنا نحنُ الكويتيّين واقع تاريخ وحياة مصير . فليسَ لحياتنا معنىً دونها ، وليسَ لوجودنا أثر إذا خُدِش استِقلالها أو نيل منْ شخصيتها .

من مُقدمة المؤلف